كتاب
سر الأسرار
و
مظهر الأنوار

تأليف

شيخ الاسلام والمسلمين السيد الشيخ
محي الدين عبد القادر الجيلي الحسنى الحسينى
قدس الله روحه ونفعنا والمسلمين
ببركات علومه الشريفة آمين

طبع بالمطبعة البهية المصرية
التزام عبد الرحمن محمد
بميدان الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القادر العليم الفاطر الحكيم الجواد الكريم الرب الرحيم منزل الذكر الحكيم والقرآن العظيم على المبعوث بالدين القويم والصراط المستقيم والصلاة والسلام على خاتم الرسالة والهادى من الضلالة وعلى مشرف الرسل بأشرف الكتب والكتاب (محمد) النبى الأمى العربى الأمين وعلى آله هداة المهتدين وأصحابه الأخيار المنتخبين وسلم تسليما كثيراً (أما بعد) فيقول الغوث الأعظم القطب الربانى والهيكل الصمدانى والقنديل اللامع النورانى سلطان الأولياء والعارفين برهان الأصفياء والواصلين باز الله الاشهب مولانا وسيدنا وقدوتنا إلى الله تعالى الحسيب النسيب الشريف السيد الشيخ محي الدين عبدالقادر الجيلانى الحسنى الحسينى قدس الله سره العزيز ونور ضريحه الشريف ابن الامام السيد أبى صالح موسى جنكى دوست ابن الامام السيد عبدالله ابن الامام السيد يحى الزاهد ابن الامام السيد محمد ابن الامام السيد داود ابن الامام السيد موسى ابن الامام

السيد عبدالله ابن الامام السيد موسى الجون ابن الامام السيد عبدالله المحض ابن الامام السيد الحسن المثنى ابن الامام الهمام سيدنا الحسن السبط ابن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أبى الحسنين الامام سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين (وان نسب والدة حضرة سيدنا ومولانا الغوث الاعظم السيد الشيخ محي الدين عبدالقادر الجيلانى رضى الله تعالى عنه على هذه الصورة) وهو السيد الشيخ محي الدين عبدالقادر الجيلانى قدس سره النورانى ابن السيدة أم الخير أمة الجبار فاطمة بنت السيد عبدالله الصومعى الزاهد ابن السيد أبى عبدالله جمال الدين محمد ابن السيد محمود ابن السيد أبى العطاء عبدالله ابن السيد كمال الدين عيسى بن السيد الامام أبى عبدالله علاء الدين محمد الجواد ابن السيد الامام على الرضا ابن السيد الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام زين العابدين على ابن الامام الهمام الحسين شهيد كربلاء ابن الامام الهمام أمير المؤمنين سيدنا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وعنهم أجمعين «وبعد» فلما كان العلم أشرف منقبة وأجل مرتبة وأبهى مفخرة وأنفع متجرة إذ به يتوسل إلى

توحيد رب العالمين وإلى تصديق أنبيائه والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين . صار العلماء خواص عباد الله الذين اجتباهم إلى معالم دينه وهداهم اليه وبمزية الفضل آثرهم وأصفاهم وهم ورثة الانبياء وخلفاؤهم وسادات المرسلين وعرفاؤهم كما قال الله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ . أى الذين سيئاتهم مع الحسنات سواء « وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ » وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم : العلماء ورثة الانبياء بالعلم ويحبهم أهل السماء ويستغفر لهم الحيتان فى البحار إلى يوم القيامة ، وقال الله تعالى : إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ وقال عليه الصلاة والسلام : يبعث الله الخلق يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول الله تعالى يامعشر العلماء إنى لم أضع علمى فيكم إلا لعلمى بكم ولم أضعه فيكم لأعذبكم انطلقوا إلى الجنة فقد غفرت لكم الحمدلله رب العالمين على كل حال الذى جعل الدرجات حفظا للعابدين والقربات للعارفين وكان قد التمس منا بعض الطلاب ان نجمع له نسخة من ذلك كفاية الغناء فجمعنا له هذا الايجاز

على وفق مراده ليكون له ولغيره وافياً شافياً وسميته (سر الأسرار فيما يحتاج إليه الأبرار) لأنا ذكرنا فيه ما يطلب غالباً فى الشريعة والطريقة والحقيقة وجعلناه مشتملا على مقدمة واربعة وعشرين فصلا بعدد حروف كلمة : لا إله إلا الله محمد رسول الله وعدد ساعات الليل والنهار . أما المقدمة ففيها بيان ابتداء الخلق وأما الفصول (فالأول) فى بيان رجوع الانسان إلى وطنه الأصلى (والثانى) فى بيان ردة الانسان إلى أسفل السافلين (والثالث) فى بيان حوانيت الأرواح فى الجسد (والرابع) فى بيان العلوم (والخامس) فى بيان التوبة والتلقين (والسادس) فى بيان أهل التصوف (والسابع) فى بيان الأذكار (والثامن) فى بيان شرائط الذكر (والتاسع) فى بيان رؤية الله تعالى (والعاشر) فى بيان حجب الظلمانية والنورانية (والحادى عشر) فى بيان السعادة والشقاوة (الثانى عشر) فى بيان الفقراء (والثالث عشر) فى بيان طهارة الشريعة والطريقة (والرابع عشر) فى بيان صلاة الشريعة والطريقة (والخامس عشر) فى بيان طهارة المعرفة فى عالم التجريد (والسادس عشر)

فى بيـان زكاة الشريعة والطريقة (والسابع عشر) فى بيان صوم الشريعة والطريقة (والثامن عشر) فى بيـان حج الشريعة والطريقة (والتاسع عشر) فى بيان الوجد والصفا (والعشرون) فى بيان الخلوة والعزلة (والحادى والعشرون) فى بيان أوراد الخلوة (والثانى والعشرون) فى بيان الواقعات من المنـام والسنة (والثالث والعشرون) فى بيـان أهل التصوف (والرابع والعشرون) فى بيان الخاتمة وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب والمقدمة (فى بيان ابتداء الخلق)

اعلم وفقك الله لما يحب ويرضى أنه لما خلق الله تعالى روح محمد صلى الله عليه وسلم أولا من نور جماله كما قال الله عز وجل خلقت روح محمد صلى الله عليه وسلم من نور وجهى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله روحى وأول ما خلق الله نورى وأول ما خلق الله القلم وأول ما خلق الله العقل فالمراد منها شيء واحد وهو الحقيقة المحمدية لكن سمى « نورا » لكونه صافيا عن الظلمات الجلالية كما قال الله تبارك وتعالى قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ «وعقلا» لكونه مدركا للكليات «وقلما» لكونه سبباً لنقل العلم كما

أن العلم سبب له فى عالم الحروف فالروح المحمدية خلاصة الأكوان وأول الكائنات وأصلها كما قال عليه الصلاة والسلام أنا من الله والمؤمنون منى وخلق الله الارواح كلها منه فى عالم اللاهوت وفى أحسن التقويم الحقيق وهو اسم جملة الانس فى ذلك العالم وهو الوطن الاصلى فلما مضى عليها أربعة آلاف سنة خلق العرش من نور عين محمد صلى الله عليه وسلم وبواقى الكائنات منه ثم ردت الارواح إلى الدرك الأسفل للكائنات أعنى الاجساد كما قال الله تعالى ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ يعنى نزوله أولا من عالم اللاهوت إلى عالم الجبروت فألبسهم الله تعالى بنور الجبروت كسوة بين الحرمين وهو الروح السلطانى ثم أنزلهم بهذه الكسوة إلى عالم الملكوت وكساهم بنور الملكوت وهو الروح الروحانى ثم انزلهم إلى عالم الملك وكساهم بنور الملك وهو الروح الجسمانى ثم خلق الله الاجساد منها كما قال الله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ثم امر الله تعالى الأرواح ان تدخل فى الأجساد فدخلت بامر الله تعالى كما قال عز وجل

ونفخت فيه من روحى فلما تعلقت الأرواح وأنست فى الأجساد ونسيت ما اتخذت من العهد والميثاق فى يوم ألست بربكم قالوا بلى فلم ترجع إلى الوطن الأصلى فيرحم الرحمن المستعان عليهم بانزال الكتب السماوية تذكرة لهم بذلك الوطن الأصلى كما قال الله تعالى وذكرهم بأيام الله اى ايام وصوله فيما سبق مع الأرواح بجميع الأنبياء جاءوا فى الدنيا وذهبوا إلى الآخرة لهذا التنبيه فقل من تذكر ورجع واشتاق ووصل اليه أى إلى وطنه الاصلى حتى أفضت النبوة إلى الروح الاعظم المحمدى خاتم الرسالة والهادى من الضلالة فأرسله إلى هؤلاء الناس الغافلين ليفتح بصيرتهم من نوم الغفلة فيدعوهم إلى الله تعالى ووصاله ولقاء جماله الازلى كما قال الله تعالى: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وقال النبي صلى الله عليه وسلم: أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم والبصيرة من عين الروح تفتح فى مقام الفؤاد للاولياء ولذلك لاتحصل بعلم الظاهر بل بعلم اللدن الباطن كما قال الله تعالى: وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَدُنَّا عِلْماً فالواجب على

الانسان تحصيل تلك العين على أهل البصائر بأخذ التلقين من ولى مرشد مخبر من عالم اللاهوت. فيا أيها الاخوان انتبهوا وسارعوا إلى مغفرة من ربكم بالتوبة كما قال الله تعالى: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ وادخلوا فى الطريق وارجعوا إلى ربكم مع هذه القوافل الروحانية فعن قريب ينقطع الطريق ولا يوجد الرفيق إلى ذلك العالم وما جئنا لنقعد فى هذه الدنيا الدنية الخربة ولا لأجل الاكل والشرب ولنقنع بالمهمات النفسانية الخبيثة: شعر

خيزد لامست شو ازمى قدسى ازانكه
مانه درين تيره جا بهر نشست آمديم

فنبيكم منتظر مغموم لأجلكم كما قال عليه السلام: غمى لأجل أمتى الذين فى آخر الزمان: شعر

أى مرغ روح به پرازين دام پربلا
پروازكن بذروة ايوان كبريا

فالعلم المنزل علينا علمان ظاهر و باطن يعنى الشريعة والمعرفة فأمر بالشريعة على ظاهرنا وبالمعرفة على باطننا لينتج من

اجتماعهما علم الحقيقة كالشجرة والاوراق يحصل منها الثمرة كما قال الله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان الآية. وإلا فبمجرد علم الظاهر لا يحصل الحقيقة ولا يصل إلى المقصود فالعبادة الكاملة بهما لا بأحدهما كما قال الله تعالى وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْانْس إِلَّا لِيَعْبُدُون أى ليعرفون. فمن لم يعرفه كيف يعبده فالمعرفة إنما تحصل بكشف حجاب النفس عن مرآة القلب بتصفيتها فيرى فيها جمال الكنز المخفى فى سر لب القلب كما قال الله تعالى فى الحديث القدسى: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى. فلهذا تبين أن الله تعالى خلق الانسان لمعرفته. فالمعرفة على نوعين معرفة صفات الله تعالى ومعرفة ذاته. فمعرفة الصفات تكون حظ الجسم فى الدارين. ومعرفة الذات تكون حظ الروح القدس فى الآخرة كما قال الله تعالى وأيدناه بروح القدس وهم مؤيدون بروح القدس وهاتان معرفتان لا تحصلان إلا بعلمين علم الظاهر وعلم الباطن المذكورين بهما كما قال عليه السلام العلم علمان علم باللسان وذلك حجة الله على عباده وعلم بالجنان فذلك العلم النافع

لحصول المقصود والانسان يحتاج أولا إلى علم الشريعة ليحصل للبدن حسب معرفته فى عالم معرفة الصفات وهو الدرجات ثم إلى علم الباطن ليحصل للروح كسب فى عالم معرفته وذلك لايحصل إلا بترك الرسومات التى هى مخالفة للشريعة والطريقة وحصوله بقبول المشقات النفسانية والروحانية لرضاء الله تعالى بلا رياء ولا سمعة كما قال الله تعالى فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً وعالم المعرفة وهو عالم اللاهوت وهو الوطن الاصلى المذكور الذى خلق فيه الروح القدس فى أحسن التقويم والمراد من الروح القدس الانسانى الحقيقى الذى أودع فى لب القلب ويظهر وجوده بالتوبة والتلقين وملازمة كلمة لا إله إلا الله بلسانه أولا على كلمة لا إله إلا الله بلسانه فى الجنان بعد حياة القلب حين تسميه المتصوفة طفل المعانى لانه من المعنويات القدسية وتسميته طفلا لخصال (أحدها) أنه يتولد من القلب كتولد الطفل من الام ويربيه الوالد فيكبر قليلا إلى البلوغ والثانى ان تعليم العلم يكون للاطفال

غالباً تعليم علم المعرفة لهذا الطفل أيضا (الثالث) وأن الطفل مطهر من أدناس الذنوب الظاهرة فهذا أيضا مطهر من دنس الشرك والغفلة والجسمانية (والرابع) أن مثل هذه الصورة الصافية للولد أكثر ولذلك يرى في المنامات على صورة المرد كالملائكة (والخامس) أن الله تعالى وصف نتاج الجنة بالطفلية بقوله عز وجل وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ. وبقوله عز وجل غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (والسادس) أن هذا الاسم كان له باعتبار لطافته ونظافته (والسابع) أن إطلاق هذا الاسم على سبيل المجاز باعتبار تعلقه بالبدن وتمثله بصورة البشر بناء على أن إطلاقه عليه لأجل ملاحته لا لأجل استصغاره ونظراً إلى بداية حاله وهو الانسان الحقيق لأن له نسبة مع الله تعالى فالجسم والجسماني ليسا محرمين له لقوله عليه السلام لي مع الله وقت لا يسع فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل والمراد منه بشرية النبي صلى الله عليه وسلم ومن الملك المقرب روحانيته التي خلقت من نور الجبروت كما أن الملك منه فلا مدخل له في نور

اللاهوت وقال عليه الصلاة والسلام إن لله جنة لا فيها حور ولا قصور ولا عسل ولا لبن بل أن ينظر إلى وجه الله تعالى كما قال جل جلاله وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ وكما قال عليه السلام: سترون ربكم كما ترون القَمر ليلة البدر ولو دخل الملك والجسمانى فى هذه العوالم لأحرقتها كما قال الله تعالى فى الحديث القدسى لو كشفت سبحات وجه جلالى لأحرقت كل ما انتهى إليه بصرى وكما قال جبرائيل عليه السلام لو دنوت أنملة لاحترقت

« الفصل الاول فى بيان رجوع الانسان إلى وطنه الاصلى »

فالانسان على نوعين جسمانى وروحانى فالجسمانى إنسان عام والروحانى إنسان خاص فرجوع الانسان العام إلى وطنه وهو الدرجات بسبب عمل علم الشريعة والطريقة والمعرفة كما قال عليه السلام: الحكمة الجامعة معرفة الحق إذا عمل بلا رياء ولا سمعة لان الدرجات على ثلاث طبقات (فالاول) الجنة فى عالم الملك وهى جنة المأوى (والثانى) الجنة فى عالم الملكوت وهى جنة النعيم (والثالث) الجنة فى عالم الجبروت وهى جنة الفردوس فهذه نعم الجسمانى

فلا يصل الجسم إلى عالمه إلا بثلاثة علوم وهى الشريعة والطريقة والمعرفة كما قال عليه السلام الحكمة الجامعة معرفة الحق والعمل بها ومعرفة الباطل وتركه وكما قال عليه السلام اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه وكما قال عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه وخالقه وتابعه ورجوع الانسان الخاص ووصوله وهو القربة يكون بسبب علم الحقيقة وهو التوحيد فى عالم القربة اللاهوت وهى فى حال حياته فى الدنيا بسبب عادته سواء كان نائما أو منتبها بل إذا نام الجسد وجد القلب فرصة فيذهب إلى وطنه الاصلى إما بكله وإما بجزء منه كما قال الله تعالى اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ولذلك قال عليه الصلاة والسلام نوم العالم خير من عبادة الجاهل بعد حياة القلب بنور التوحيد وبعد ملازمة اسماء التوحيد بلسان السر بغير حرف ولاصوت كما قال الله تعالى فى الحديث القدسى

الانسان سرى وانا سره وقال عز وجل إن علم الباطن سر من سرى أجعله فى قلب عبادى ولا يقف عليه أحد غيرى كما قال الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى وانا معه حين يذكرنى وإذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ أحسن منه فالمراد منهم من فى وجود الانسان وهو علم التفكر كما قال عليه الصلاة والسلام تفكر ساعة خير من عبادة سنة وقال عليه الصلاة والسلام تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وقال عليه الصلاة والسلام تفكر ساعة خير من عبادة ألف عام فالتوفيق فيه أن يقال من تفكر فى تفاصيل الفروع فتفكره ساعة خير من عبادة سنة ومن تفكر فى معرفة مايجب عليه من العبادة فخير من عبادة سبعين سنة ومن تفكر ساعة فى معرفة الله تعالى فخير من عبادة ألف سنة قال الشيخ عبدالله الأنصارى

ذكركن ذكرى كه تافكرى آورد
صد هزاران معين بسكرى آوردن

وهو علم العرفان أعنى التوحيد وبه يصل العارف إلى معروفه ومحبوبه ونتيجته الطيران بالروحانية إلى عالم القربة

كما قال جلال الدين الرومى شعراً :

سيمرغ قاف قربتم شهبازد ست قدرتم
غواص بحر حكمتم كوهرشناس إنس وجان

فالعابد سيار إلى الجنة والعارف طيار إلى القربة وقال بعضهم فى حقه رباعى :

قلوب العاشقين لها عيون ترى مالا يراه الناظرينا
بأجنحة تطير بغير ريش إلى ملكوت رب العالمينا

فهذا الطيار يكون فى باطن العارف وهو الانسان الحقيق وهو حبيب الله عز وجل ومحرمه وعروسه كما قال أبو يزيد البسطامى أهل الله هم عرائس الله وفى رواية أولياء الله هم عرائس الله فلا يعرف العرائس إلا محرمهم وهم مخدرون بحجاب الأنس لايراهم أحد غير الله تعالى وقال عز وجل فى الحديث القدسى أوليائى تحت قبائى لايعرفهم غيرى ولايرى الناس فى الظاهر من العروس إلا ظاهر زينتها قال يحي بن معاذ الرازى الولى ريحان الله فى أرضه يشمه الصديقون فتصل رائحته إلى قلوبهم فيشتاقون به إلى مولاهم فتزداد عبادتهم على تفاوت

أخلاقهم بحسب الفناء لأن زيادة القربة تكون زيادة الفناء فالولى هو الفانى فى حاله والباقى فى مشاهدة الحق ولم يكن له عن نفسه اختيار ولا له مع أحد غير الله قرار وهو من أيد بالكرامات وغيب عنها لأنه يرى مالا يرون وأن إفشاء سر الربوبية كفر. قال فى المرصاد: أصحاب الكرامات كلهم محجوبون والكرامة حيض الرجال فالولى له ألف مقام أوله باب الكرامات من جاز منها نال الباقى وإلا فلا كما قال بعضهم:

كدرين بساط هركه كرامات كردند
فرندولش كرامات كردند(ن)

« الفصل الثانى فى بيان رد الانسان إلى أسفل السافلين »

لما خلق الله الروح القدس فى أحسن التقويم فى عالم اللاهوت فأراد أن يرد إلى الاسفل لزيادة الانسية والقربة فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وهى مقام الاولياء والانبياء فرده أولا إلى عالم الجبروت ومعه بذر التوحيد فأودع فيه من نورانية ذلك العالم وألبس منه كسوة وكذا إلى عالم الملك فخلق له كسوة عنصرية لئلا يحترق به عالم الملك يعنى هذا الجسد الكثيف فيسمى باعتبار الكسوة الجبروتية روحا

سلطانيا وباعتبار الملكوتية روحا سيرانيا وروانيا وباعتبار الملكية روحا جسمانيا فلما كان المقصود من مجيئه إلى الأسفل لكسب زيادة القربة والدرجة بواسطة القلب والقالب فيزرع بذر التوحيد فى أرض القلب لتنبت فيها شجرة التوحيد أصلها ثابت فى هواء السرور تثمر عليها ثمرات التوحيد لرضاء الله تعالى كما قال الشاعر شعراً:

ما شاخ بلنديم پرازميوه توحيد

هرره كذرى سنك زندعا رانداريم

وزرع بذر الشريعة فى أرض القلب لينبت فيها شجرة الشريعة وتثمر عليها ثمرات الدرجات أمر الله تعالى الأرواح كلها بدخول الجسد فقسم لكل واحد منها موضعاً فيه فموضع الروح الجسمانى منه فى الجسدين اللحم والدم وموضع الروح القدسى السر فلكل واحد منها حانوت فى بلد الوجود وامتعة وأرباح وتجارة لن تبور سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور فينبغى لكل إنسان أن يعرف معاملته فى وجوده لأنه ما يحصل هنا يعلق فى عنقه وكما قال الله تعالى أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِى الصُّدُورِ

وكما قال الله تعالى : وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ

« الفصل الثالث فى بيان حوانيت الأرواح فى الجسد »

فحانوت الروح الجسمانى من البدن الصدر مع الجوارح الظاهرة ومتاعه الشريعة ومعاملته العمل بالمفروضات التى أمر الله بها من الأحكام الظاهرة بغير شرك كما قال الله تعالى وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً . إن الله وتر يحب الوتر أعنى العمل بلا رياء ولا سمعة ، وربحه فى الدنيا الولاية والمكاشفة والمشاهدة فى عالم الملك من الثرى إلى السماء ومثله الكرامات الكونية من المراتب الرهبانية كالمشى على الماء والطيران فى الهواء وطى المكان والسمع من البعيد والرؤية فى سر البدن ونحو ذلك وأما ربحه فى الآخرة فهو الجنان والحور والقصور والغلمان والأشربة وسائر النعم فى الجنة الاولى وهى جنة المأوى وحانوت الروح الروانى القلب ومتاعه علم الطريقة ومعاملة اشتغاله بالأسماء الأربعة . الأولى بلا نطق ولا حرف من أصول الأسماء الاثنا عشر كما قال الله تعالى قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا

الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وكما قال الله تعالى فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وهذه إشارات إلى أن الأسماء محل الشغل وهو علم الباطن والمعرفة نتيجة أسماء التوحيد. قال عليه السلام إن لله تعالى تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة. وكما قال عليه السلام الدرس حرف والتكرار ألف، والمراد من الاحصاء أن يصير منعوتاً بها ومتخلقا بأخلاقها وهذه الاسماء الاثنا عشر أصول أسماء الله تعالى على عدد حروف لا إله إلا الله، فحروف هذه الكلمة اثنا عشر حرفا فأثبت الله فى أطوار القلب إذن لكل حرف اسما واحداً لكل عالم ثلاثة أسماء فأثبت الله بها قلوب المحبين كما قال الله تعالى يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ فأنزل الله عليهم سكينة الانس وأثبت الله شجرة التوحيد أصلها ثابت فى الارض السابعة بل فى الثرى وفرعها فى السماء إلى ما فوق العرش قال الله تعالى «كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ

أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ » وربحه حياة القلب ومشاهدته في عالم الملكوت أصل مشاهدة الجنان وأهلها وأنوارها وملائكتها ومثل نطق الباطن من لسانه وملاحظة الاسماء الباطنة بلا نطق ولا حرف ومسكنه فى الآخرة فى الجنة الثانية وهى جنة النعيم وحانوت الروح السلطانى الفؤاد ومتاعه المعرفة ومعاملته ملازمة الأسماء الأربعة المتوسطات بلسان الجنان كما قال عليه السلام « العلم علمان علم باللسان فذلك حجة الله على خلقه ، وعلم بالجنان وذلك العلم النافع لأن أثر المنافع العلم فى هذه الدائرة » وقال عليه السلام « إن للقرآن ظهراً وبطنا » وقال عليه السلام «إن الله أنزل القرآن على عشرة أبطن فكل ماهو بطن فهو أنفع وأربح لأنه مخ قال مولانا جلال الدين الرومى

مازقران مغزرا برداشتيم   پوست رييش سكان انداختيم

فهذه الأسماء بمنزلة اثنتى عشرة عيناً انفجرت من ضرب عصا موسى عليه السلام قال الله تعالى « وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ

عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ فالعلم الظاهر كماء المطر العارضى والعلم الباطن كماء العين الأصلى هى الأنفع من الأول قال الله تعالى «وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ» أخرج الله تعالى من الأرض الآفاق حباً هو قوة الحيوانات النفسانية وأخرج من الأرض الأنفس حباً هو قوة الأرواح الروحانية قال عليه السلام «من أخلص لله تعالى أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» وأما ربحه فرؤية عكس جمال الله تعالى قال الله تعالى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى وكما قال عليه السلام «المؤمن مرآة المؤمن» والمراد من الأول قلب العبد المؤمن ومن الثانى هو الله تعالى كما قال الله تعالى الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ، قال صاحب المرصاد شعراً:

دل آئينه جمال شاهنشاه است

وين هردو جهان غلاف آن آئينه است

ومسكن هذه الطائفة فى الجنة الثالثة وهو الفردوس

وحانوت الروح القدسى فى السر كما قال الله تعالى الانسان سرى وأنا سره ومتاعه علم الحقيقة وهو علم التوحيد ومعاملته ملازمة أسماء التوحيد وهى الأربعة الأخيرة بلسان بلا نطق قال الله تعالى وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى فلا يطلع عليه أحد غير الله تعالى وأما ربحه فظهور طفل المعانى ومشاهدته ومعاينته ونظره إلى وجه الله تعالى حلالا بعين السر وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ بلا كيف ولا كيفية ولا تشبيه كما قال الله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فلما بلغ الانسان إلى مقصوده انحصرت العقول وتحيرت القلوب وكلت الألسن ولن يستطيع أن يخبر عن ذلك لأن الله تعالى منزه عن الأمثال فاذا بلغ مثل هذه الأخبار إلى العلماء ينبغى لهم أن يفهموا من مقامات العلوم ويرغبوا فى حقائقها ويتوجهوا إلى أعلى العليين ويجتهدوا أن يصلوا إلى العلم اللدنى ومعرفة الذات الأحدية من غير أن يعترضوا وينكروا إلى هذه المقالة التى ذكرناها

« الفصل الرابع فى بيان عدد العلوم »

فالعلم الظاهر اثناعشر فنا وكذا العلم الباطن له اثناعشر فنا فقسم بين العام والخاص على قدر الاستعداد فالعلوم منحصرة على أربعة أبواب الباب الأول ظاهر الشريعة من الأمر والنهى وسائر الاحكام والثانى باطنها سميته علم الباطن والطريقة والثالث الباطن سميته علم المعرفة والرابع أبطن البواطن وسميته علم الحقيقة فلابد من تحصيل كلها كما قال عليه السلام « الشريعة شجرة والطريقة أغصانها والمعرفة أوراقها والحقيقة ثمرها » والقرآن جامع جميعها بالدلالة والاشارة تفسيراً أو تأويلا وقال صاحب المجمع التفسير للعوام والتأويل للخواص لانهم العلماء الراسخون ومعنى الرسوخ الثبات والقرار والاستحكام فى العلم كشجرة النخل أصلها ثابت فى الارض وفرعها فى السماء وهذا الرسوخ نتيجة كلمة المزروعة فى لب القلب بعد التصفية وقد عطف قوله : وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ على قوله عز وجل إِلَّا اللهُ على إحدى الأقوال قال صاحب التفسير الكبير فلو فتح هذا الباب لانفتحت أبواب البواطن ثم العبد مأمور بلزوم

الأمر والنهى ومخالفة النفس فى كل دائرة من الدوائر الأربع (فالنفس) توسوس فى دائرة الشريعة من المخالفات وفى دائرة الطريقة من الموافقات تلبيسا كدعوى النبوة والولاية فى دائرة (المعرفة) من الشرك الخفى من النورانيات كدعوى الربوبية كما قال الله تعالى أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وأما دائرة الحقيقة فلا مدخل للشيطان فيها ولا للنفس ولا للملائكة لأن غير الله تعالى يحترق فيها كما قال جبريل عليه السلام لو دنوت أنملة لاحترقت فيخلص العبد حينئذ من خصمين ويكون مخلصا كما قال الله تعالى فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ وما لم يصل إلى الحقيقة لم يكن مخلصا لأن الصفات البشرية الغيرية لا تفنى إلا بتجلى الذات ولا ترتفع الجهولية إلا بمعرفة الذات سبحانه وتعالى فيعلمه الله تعالى بلا واسطة من لدنه علما لدنيا فيعرفه بتعريفه ويعبده بتعليمه كالخضر عليه السلام وهناك يشاهد الأرواح القدسية ويعرف نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم فينطق من نهايته إلى بدايته والأنبياء يبشرونه

بالوصال الأبدى كما قال الله تعالى وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً فمن لم يصل بهذا العلم لم يكن عالما فى الحقيقة ولو قرأ ألف ألف من الكتب بحيث لا يبلغ إلى الروحانية فعمل الجسمانية بظاهر العلوم جزاؤه الجنة فقط فيتجلى عكس الصفات ثمة فالعالم لايدخل بمجرد علم الظاهر إلى الحرم القدسى والقربه لأنه عالم الطيران والطير لايطير إلابجناحيه فالعبد الذى يعمل بعلم الظاهر والباطن يصل إلى ذلك العالم كما قال الله تعالى فى الحديث القدسى ياعبدى إذا أردت أن تدخل حرمى فلا تلتفت إلى الملك والملكوت والجبروت لان الملك شيطان العالم والملكوت شيطان العارف والجبروت شيطان الواقف من رمق بأحد منها فهو مطرود عندالله تعالى أعنى مطرود القربة لا مطرود الدار وهم يطلبون القربة فلا يصلون إليها لأنهم طمعوا غير مطمع لأن لهم جناحا واحداً ولأهل القربة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهى جنة القربة لافيها حور ولا قصور فينبغى للانسان أن يعرف مقداره ولا يدعى لنفسه ما ليس بحقه كما قال على كرم الله وجهه رحم الله امرأ عرف

قدره ولم يتعد طوره وحفظ لسانه ولم يضيع عمره فينبغى
للعالم أن يحصل معنى حقيقة الانسان المسمى بطفل المعانى
ويربيه بملازمة أسماء التوحيد ويخرج من عالم الجسمانية
إلى عالم الروحانية وهى عالم السر ليس فيه غير الله ديار
وهو كمثل صحراء من نور ولا نهاية له وطفل المعانى
يطير فيها ويرى عجائبها وغرائبها لكن لا يمكن الاخبار
عنها وهى مقام الموحدين الذين فنوا من تعيينهم فى عين
الواحدة فليس له وجود فى البين برؤية جمال الله كما لا يرى
إلا بنية نفسه إذا ملل الشمس فيه فلا جرم أن الانسان
لا يرى نفسه بمقابلة جمال الله لغلبة الحيرة والمحوية فى نفسه
كما قال الشيخ فريد الدين العطاردى رحمه الله شعراً

دران صحر انهاده تخت معشوق
بكرد تخت دائم جشن وشوراست
همه دلها جو كلهاى شكفته
همه جانها جو صفهاى طيوراست

وكما قال عيسى عليه السلام أن يلج الانسان إلى
ملكوت السموات حتى يولد مرتين كما يولد الطير مرتين

والمراد منه تولد طفل المعانى الروحانى من حقيقة قابلية الانسان وهو سر الانسان يظهر وجوده وعلوقه من اجتماع علم الشريعة وعلم الحقيقة لان الولد لايحصل إلا من اجتماع النطفتين من الرجل والمرأة كما قال الله تعالى إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ وبعد ظهور هذا المعنى يحصل العبور من بحور الخلق إلى قعور الامر بل كل العالم فى جنب عالم الروح كقطرة ماء وبعد ذلك يفاض العلوم الروحانية واللدنية بلا حرف ولا صوت

« الفصل الخامس فى بيان التوبة والتلقين »

اعلم أن المراتب المذكورة لاتحصل إلا بالتوبة النصوح وبالتلقين من أهله كما قال الله تعالى وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وهى كلمة لا إله إلا الله بشرط أخذه من قلب تقى نقى مما سوى الله لا بكل كلمة تسمع من أفواه العامة وإن كان اللفظ واحداً لكن فى المعنى تفاوت لان القلب يحيىء إذا أخذ بذر التوحيد من قلب حى فيكون بذرا كاملا وبذر غير البالغ لا ينبت ولذلك أنزل كلمة التوحيد فى القرآن فى موضعين

احدهما مقارن بالقول الظاهر كما قال الله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ فهذا فى حق العوام (والثانى) مقرون بالعلم الحقيق كما قال الله تعالى فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فهذا التلقين بسبب نزول هذه الآية الشريفة لأجل الخواص كما قال فى بستان الشريعة أول من تمنى أقرب الطرق وأفضلها وأسهلها من النبى صلى الله عليه وسلم على رضى الله عنه فانتظر النبى صلى الله عليه وسلم الوحى فنزل جبرائيل عليه السلام ولقن بهذه الكلمة ثلاث مرات ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم كما قال جبرائيل عليه السلام ثم لقن النبى صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه ثم جاء إلى أصحابه فلقنهم جميعا فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد رجعنا من الجهاد الاصغر نعود إلى الجهاد الاكبر يعنى جهاد النفس كما قال عليه الصلاة والسلام لبعض أصحابه عدو أعدائك نفسك التى بين جنبيك فلا تحصل محبة الله إلا بعدقهر أعدائه فى وجودك من النفس الامارة واللوامة والملهمة وتطهره من الاخلاق الذميمة البهيمية كمحبة زيادة الاكل

والشرب والنوم واللغو والسبعية كالغضب والشتم والضرب والقهر والشيطانية كالكبر والعجب والحسد والحقد وغير ذلك من الآفات البدنية والقلبية فاذا تطهر منها تطهر من أصل الذنوب فكان من المتطهرين والتوابين كما قال الله تعالى إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ فمن تاب من مجرد ظاهر الذنوب فالظاهر أنه لايدخل تحت هذه الآية وإن كان تائباً لكن ليس بتواب فانه لفظ المبالغة فالمراد منه توبة الخواص فقال من يتوب من مجرد الذنوب الظاهر كمن يقطع حشيش الزرع من فرعه ولا يشتغل بقلعه من أصوله فينبت لامحالة ثانياً أكثر مما كان ومثال التواب من الذنوب والأخلاق الذميمة كلها كمن يقلعه من أصله، فلا جرم أنه لا ينبت بعده إلا نادراً فالتلقين بعده أن تقطع ماسوى الله تعالى عن قلب المتلقن لأن من لم يقطع الشجر المر لم يصل الشجر الحلو موضعه فاعتبروا يا أولى الأبصار لعلكم تفلحون وتصلون قال الله تعالى هُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وقال سبحانه وتعالى وَمَنْ تَابَ

وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ثم التوبة على نوعين توبة العام وتوبة الخاص فتوبة العام أن يرجع عن المعصية إلى الطاعة ومن الذميمة إلى الحميدة ومن الجحيم إلى الجنة ومن راحة البدن إلى مشقة النفس بالذكر والجهد والسعي القوى وتوبة الخاص أن يرجع بعد حصول هذه التوبة من حسنات الأبرار إلى المعارف ومن الدرجات إلى القربة ومن اللذات الجسمانية إلى اللذات الروحانية وهو ترك ماسوى الله تعالى والأنس به والنظر إليه بعين اليقين وهؤلاء المذكورات من كسب الوجود وكسب الوجود ذنب كما قيل خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم وجودك ذنب لايقاس به ذنب آخر كما قال الأكابر رحمهم الله تعالى حسنات الابرار سيئات المقربين ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر الله كل يوم مائة مرة كما قال الله تعالى واستغفر لذنبك أى لذنب وجودك وهذا هو الانابة فان الانابة الرجوع من كل ما سوى الله تعالى إليه والدخول فى سلم القربه فى الآخرة والنظر إلى وجه الله تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إن لله تعالى عباداً أبدانهم فى الدنيا وقلوبهم

تحت العرش فان رؤية الله تعالى لا تحصل فى الدنيا لكن تحصل رؤية صفات الله تعالى فى مرآة القلب كما قال عمر رضى الله عنه رأى قلبي ربى بنور ربى فالقلب مرآة لعكس جمال الله تعالى «كما قيل فى المرصاد» شعراً

دل آئينـه جمـال شاهنشاه است
وين هرد وجهان حجاب آن آئينه است

فهذه المشاهدة لاتحصل إلا بتلقين شيخ واصل مقبول من السابقين ثم رده إلى تكميل الناقصين بأمر الله تعالى بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم فان الاولياء رضى الله تعالى عنهم مرسلون للخواص لا للعوام فرقا بين النبي والولى فان النبي مرسل إلى العوام والخواص جميعاً مستقلا بنفسه «وإن المرشد» يرسل للخواص فقط غيره مستقل بنفسه فانه لا يسعه إلا بمتابعة «نبيه عليه السلام» حتى لو ادعى الاستقلال كفر وإنما شبه النبي صلى الله عليه وسلم علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل لأنهم كانوا متابعين لشريعة المرسل وهو موسى عليه الصلاة والسلام لكى يجددوها ويؤكدوها احكاما من غير إتيان بشريعة أخرى فهكذا علماء هذه الأمة

من الاولياء يرسلون للخواص لتجديد الامر والنهى واستحكام العمل على التأكيد الابلغ وتصفية أصل الشريعة وهى فى القلب موضع المعرفة وهم يخبرون بعلم النبى صلى الله عليه وسلم كأصحاب الصفة كانوا ينطقون بأسرار المعراج قبل إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فالولى حامل لولاية النبي صلى الله عليه وسلم التى هى جزء نبوته وباطنه أمانة عنده وليس المراد منهم كل من ترسم بظاهر العلم لانه وإن كان من الورثة النبوية لكن من قبل ذوى الارحام فالوارث الكامل من يكون بمنزلة الابن لانه من أقرب العصبات فالولد سر الاب ظاهراً وباطناً ولذلك قال عليه الصلاة والسلام إن من العلم كهيئة المكنون لايعلمه إلا العلماء بالله تعالى فاذا نطقوا به لم ينكره أهل العزة وهذا هو السر الذى استودع فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فى أبطن البواطن الثلاثين ألفاً ولم يفشها على أحد من العامة سوى أصحابه المقربين وأصحاب الصفة فبركة ذلك السر قيام الشريعة إلى يوم القيامة فالعلم الباطن يهدى إلى ذلك السر فالعلوم والمعارف كلها قشر ذلك السر وأما العلماء الظاهرية فهم

ورثة فبعضهم بمنزلة صاحب العروض وبعضهم بمنزلة ذوى الارحام موكلون على قشور العلم بالدعوة إلى الله تعالى بالموعظة الحسنة والمشايخ السنية المتسلسلة سلسلتهم إلى على رضى الله عنه بمقر العلم على باب العلم بالدعوة والحكمة إلى الله تبارك وتعالى كما قال الله تعالى ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وقولهم فى الاصل واحد وفى الفروع مختلف وهذه المعانى الثلاثة التى كانت مجموعة فى الآية كانت مجموعة فى ذات النبي صلى الله عليه وسلم فلا يطيق أحد حمل ذلك بعده فقسم على ثلاثة أقسام القسم الأول علم الحال وهو لبها وأعطى الرجال وهمة الرجال به كما قال عليه الصلاة والسلام همة الرجال تقلع الجبال والمراد من الجبال قساوة القلب بمحو بدعائهم وتضرعهم كما قال الله تبارك وتعالى وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً والقسم الثانى قشر ذلك اللب أعطى للعلماء الظاهرية وهو الموعظة الحسنة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما قال عليه الصلاة والسلام العالم يعظ بالعلم والأدب والجاهل يعظ بالضرب

والغضب والقسم الثالث وهو قشر القشر أعطى للأمراء وهو العدل الظاهرى والسياسة المشار إليها بقوله تبارك وتعالى وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فلهم مظاهر القهر وسبب صيانة نظام الدين كالقشر الأحمر ومثال علماء الباطن كاللب لذلك قال عليه الصلاة والسلام عليكم بمجالسة العلماء واستماع كلام الحكماء فان الله تعالى يحي القلب بنور الحكمة كما يحي الأرض الميتة بماء المطر وقال عليه الصلاة والسلام كلمة الحكمة ضالة الحكيم أخذها حيث وجدها والكلمة التى بأفواه العوام نزلت من اللوح المحفوظ وهو عالم الجبروت من الدرجات والكلمة التى فى أفواه الرجال من الواصلين نزلت من اللوح الأكبر بلسان القدس بلا واسطة فى عالم القربة فكل شىء يرجع إلى أصله ولذلك طلب أهل التلقين لحياة القلب فرض كما قال عليه الصلاة والسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة والمراد منه علم المعرفة والقربة والبواقى من العلوم الظاهرة لايحتاج إليها إلا ما يؤدى بها الفرائض كعلم الفقه فى العبادات كما قال الغزالى رضى الله عنه شعر :

حياة القلب علم فادخره ... وموت القلب جهل فاجتنبه
وخير زادك التقوى فزده ... كفاك بما وعظتك فاتعظه

فرضاء الله تبارك وتعالى أن يجاوز عبيده إلى القربة ولا يلتفت إلى الدرجات كما قال الله تبارك وتعالى قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ والمراد منها علم القربة فى أحد الأقاويل.

« الفصل السادس فى بيان أهل التصوف »

ولم يسمّ أهل التصوف إلا لتصفية باطنهم بنور المعرفة والتوحيد أو لأنهم انتسبوا لأصحاب الصفة أو للبسهم الصوف للمبتدىء صوف الغنم وللمتوسط صوف المعز وللمنتهى صوف المرعز وهو الصوف المرقع وكذا حالاتهم فى الباطن على حسب مراتب أحوالهم وكذا بالأطعمة والمطعم والمشرب (قال صاحب التفسير المجمع) يليق بأهل الزهد كل خشن من الملبس والمطعم والمشرب وبأهل المعرفة كل لين منها فان إنزال الناس منازلهم من السنة كى لا يتعدى أحد طوره لأنهم فى الصنف الاول فى الحضرة

الاحدية فلفظ التصوف أربعة أحرف تاء ـ صاد ـ واو ـ فاء فالتاء من التوبة وهو على وجهين توبة الظاهر وتوبة الباطن فتوبة الظاهرية هى أن يرجع بجميع أعضائه الظاهرة من الذنوب والذمائم إلى الطاعات ومن المخالفات إلى الموافقات قولا وفعلا وأما التوبة الباطنية فهى أن يرجع إلى الموافقات بتصفية القلب فاذا حصل تبديل الذميمة بالحميدة فقد تم مقام التاء والصاد من الصفاء وهو أيضاً على وجهين صفاء القلب وصفاء السر فصفاء القلب أن يصفى قلبه من الكدورات البشرية مثل العلائق التى تحصل فى القلب من كثرة الاكل والشرب والمنام والكلام والملاحظات الدنيوية مثل حب زيادة الكسب وزيادة الجماع وزيادة محبة أولاده وأهله ونحو ذلك وتصفية القلب من هذه الخصال المذكورة لا يحصل إلا بملازمة ذكر الله تعالى فى التلقين جهراً فى الابتداء إلى أن يبلغ مقام الخفية كما قال الله تعالى إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ أى خشيت والخشية لا تكون إلا بعد انتباه القلب من نوم الغفلة وتصقيله فينقش فيه صورة الغيب من الخير والشر

كما قال عليه الصلاة والسلام العالم ينقش والعارف يصقل وأما صفاء السر فهو بالاجتناب عما سوى الله تعالى ومحبته بملازمة أسماء التوحيد بلسان السر فى سره فاذا حصل له هذه الصفة فقد تم مقام الصاد وأما الواو فهو من الولاية وهى تترتب على التصفية كما قال الله تبارك وتعالى أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِى الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخرة ونتيجة الولاية أن يتخلق بأخلاق الله تبارك وتعالى كما قال عليه الصلاة والسلام تخلقوا بأخلاق الله تعالى وكلبس خلع صفات الله تعالى بعد خلع الصفات البشرية كما قال تبارك وتعالى إذا أحببت عبداً كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا ورجلا فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق وبى يبطش وبى يمشى فتهذبوا بما سوى الله تبارك وتعالى كما قال جل وعلا قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً فحصل مقام الواو وأما الفاء فهو الفناء فى الله جل جلاله فاذا أفنى صفات البشرية يبقى صفات الأحدية وهو سبحانه لا يفنى ولا يزول فيبقى العبد الفانى مع الرب

الباقي ومرضياته ويبقى القلب الفاني مع السر الباقي ونظيره كما قال الله تبارك وتعالى كل شيء هالك إلا وجهه يحتمل أن يؤول بالرضاء إلى مايوجه إليه من الأعمال الصالحة لوجهه ورضائه فيبقى المرضى مع الراضى ونتيجة العمل الصالح حياة حقيقة الانسان المسمى بطفل المعانى كما قال الله تبارك وتعالى إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ فكل عمل يكون لغير الله تعالى فيه شركة فهو هالك لعامله فاذا تم الفناء فيه حصل البقاء فى عالم القربة كما قال الله تبارك وتعالى فى مَقْعَدِ صدق عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ وهو مقام الأنبياء والأولياء فى عالم اللاهوت كما قال الله تبارك وتعالى وَاللهُ مَعَ الصَّادِقِينَ فالحادث إذا اقترن بالقديم لم يبق له وجود كما قال الشاعر:

صفات الذات والأفعال طراً قديمات مصونات الزوال

فاذا تم الفقر بقى الصوفى مع الحق سبحانه وتعالى أبداً كما قال الله تبارك وتعالى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وكما قال الله تبارك وتعالى والله مع الصابرين.

«الفصل السابع فى بيان الأذكار»

فقد هدى الله للذاكرين بقوله واذكروه كما هداكم أى إلى مراتب ذكركم وقال عليه أفضل الصلاة والسلام أفضل ماقلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله فلكل مقام مرتبة خاصة إما جهرية أو خفية فالأول هداهم إلى ذكر اللسان ثم إلى ذكر السر ثم إلى ذكر الخفى ثم إلى ذكر أخفى الخفى ثم ذكر اللسان فكان بذلك يذكر القلب ما نسى من ذكر الله وأما ذكر النفس فهو ذكر غير مسموع بالحروف والصوت بل مسموع بالحس والحركة فى البطن وأما ذكر القلب فهو ملاحظة القلب فى ضميره من الجلال والجمال وأما ذكر السر فهو مراقبة لمكاشفات الأسرار الالهية عم نواله وأما ذكر الخفى فهو معاينة لأنوار جمال الذات الأحدية جل جلاله فى مَقْعَد صدق عندَ مَليك مُقْتَدر وأما ذكر أخفى الخفى فهو النظر إلى حَقيقة حق اليَقين ولا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى كما قال عز وجل إنه يَعلَمُ السّرَّ وَأَخْفَى وذلك أبلغ كل العلوم وانتهاء كل المقاصد. اعلم أنه قد تم روح آخر

وهى ألطف من الأرواح كلها وهى طفل المعانى وهى لطيفة داعية بهذه الأطوار إلى الله تبارك وتعالى قال بعض الاكابر هذه الروح لاتكون لأحد بل تكون للخواص كما قال الله تعالى يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وهذه الروح ملازمة فى عالم القدرة والمشاهدة فى عالم الحقيقة لا يلتفت إلى غير الله سبحانه وتعالى كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام الدنيا حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا وهما حرامان على أهل الله وهو طفل المعانى وطريق الوصول إلى الله تبارك وتعالى محافظة الجسم على الصراط المستقيم لاحكام الشريعة ليلا ونهاراً ويداوم على ذكر الله تعالى سراً وجهراً لان دوامه فرض قائم على الطلاب كما قال عز من قائل الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .

« الفصل الثامن فى بيان شرائط الذكر »

وهو أن يكون الذاكر على وضوء تام وأن يذكر بضرب شديد وصوت قوى حتى يحصل أنوار الذكر فى بواطن الذاكرين وتصير قلوبهم أحياء بهذه الأنوار حياة أبدية أخروية كما قال الله تعالى لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الأولى وكما قال عليه أفضل الصلاة والسلام المؤمنون لايموتون بل ينقلون من دار الفناء إلى دار البقاء وكقوله عليه أفضل الصلاة والسلام الأنبياء والأولياء يصلون فى قبورهم كما يصلون فى بيوتهم أى يناجون ربهم وليس معناه ظاهر الصلاة من القيام والقعود والركوع والسجود بل مجرد المناجات من قبل العباد وهدية المعرفة من قبل الله عزوجل فيكون العارف محرماً إلى الله تبارك وتعالى بزيادة المناجات للقلب الحى فذلك لايموت كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام تنام عينى ولاينام قلبى وكقوله عليه أفضل الصلاة والسلام من مات فى طلب العلم بعث الله فى قبره ملكين يعلمانه علم المعرفة إلى يوم القيامة وقام من قبره

عالما وعارفاً والمراد من الملكين روحانية النبي صلى الله عليه وسلم وروحانية الولى رحمه الله تعالى لأن الملك لايدخل فى عالم المعرفة قال النبي صلى الله عليه وسلم كم من شخص مات جاهلاوقام من قبره عالما وعارفا وكم من شخص مات عالما وقام يوم القيامة جاهلاً أو فاسقا ومفلسا كما قال الله تبارك وتعالى أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تجزون عذاب الهون قال عليه الصلاة والسلام إنما الأعمال بالنيات فنية المرء خير من عمله ونية الفاسق شر من عمله لأن النية بناء العمل كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام بناء الصحيح على الصحيح صحيح وبناء الفاسد على الفاسد فاسد كما قال الله تبارك وتعالى مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِه وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِه مِنْهَا وَمَالَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ فالواجب طلب حيوية القلب الأخروى من أهل التلقين فى الدنيا قبل فوات الوقت فان الدنيا مزرعة الآخرة فاذا لم يزرع فيها لم يحصد فى الآخرة والمراد من الزرع أرض الوجود الأنفسى الآفاقى .

«الفصل التاسع فى بيان رؤية الله تعالى»

فالرؤية على وجهين رؤية جمال الله تعالى فى الآخرة بلا واسطة المرآة ورؤية صفاته عز وجل فى الدنيا بواسطة مرآة القلب بنظر الفؤاد إلى عكس أنوار الجمال كما قال الله تبارك وتعالى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام المؤمن مرآة المؤمن الأول قلب عبد المؤمن الثانى هو الله تعالى فمن رأى صفاته فى الدنيا يرى ذاته فى الآخرة بلا كيف وذلك الدعوات التى صدرت من الأولياء فى الرؤية كذلك كقول عمر رضى الله عنه رأى قلبى ربى بنور ربى كقول على كرم الله وجهه لم أعبد رباً لم أره فذلك كله مشاهدة الصفات كما أن من رأى شعاع الشمس من المشكاة ونحوها صح له أن يقول رأيت الشمس على سبيل التوسع وقد مثل الله تعالى نوره فى كلامه باعتبار صفاته بقوله تعالى مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ

فقد قالوا المشكاة قلب المؤمن والمصباح سر الفؤاد وهو الروح السلطانى والزجاجة الفؤاد الذى وصفه بالدرية من شدة نورانيته ثم بين معدن ذلك النور فقال توقد من شجرة مباركة زيتونة وهى شجرة التلقين والتوحيد الخالص يكون من لسان القدس بلا واسطة كما تلقن النبي صلى الله عليه وسلم القرآن منه فى الاصل ثم نزل جبرائيل عليه السلام لمصلحة العالم وإنكار الكفار والمنافقين والدليل عليه قوله تعالى إِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ولذلك كان يسرع النبي صلى الله عليه وسلم ويسبق جبريل عليه السلام فى الوحى حتى نزل قوله تعالى وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ولذا تأخر جبريل عليه السلام ليلة المعراج ولم يستطع أن يتجاوز من سدرة المنتهى ثم وصف الشجرة بقوله تعالى لا شرقية ولا غربية أى لا يعرض لها الوجود والعدم والطلوع والغروب بل أزلية لم تزل كما قال الله تبارك وتعالى قديم أزلى لم يزل ولم يزل ذاته أبدى فكذا صفاته لانها أنواره وتجلياته وصفاته قائمة بذاته فلا يعبد إلا أن ينكشف

الحجاب ومن وجه القلب فيجيء القلب بافاضة تلك الأنوار فيشاهد الروح من تلك المشكوة صفات الحق مع أن المقصود من خلق العالم كشف ذلك الكنز المخفى كما مر فى الحديث القدسى كنت كنزاً مخفياً فأردت ان أعرف نخلقت الخلق ليعرفونى أى ليعرفوا صفاتى فى الدنيا وأما رؤية الذات فهى فى الآخرة بلا واسطة المرآة إن شاء الله تعالى بنظر السر وهو المسمى بطفل المعانى كما قال الله تعالى وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ولعل المراد من قول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربى على صورة شاب أمرد وهو طفل المعانى وهو تجلى الرب على هذه الصورة فى مرآة الروح لأن الصورة مرآة الروح وواسطة بين التجلى والمتجلى له وإلا فالحق منزه عن الصورة والمائدة وخواص الأجسام فالصورة مرآة والمرئى غير المرآة وغير الرائى فافهم فانه لباب السر وهذا فى عالم الصفات لأنه فى عالم الذات تحترق الوسائط ويمحى ولا يسمع فى ذلك العالم غير الله تعالى كما قال عليه السلام عرفت ربى بربى أى بنور ربى وحقيقة الانسان محرم فى ذلك النور كما

قال الله تعالى فى الحديث القدسى الانسان سرى وأنا سره وكما قال عليه الصلاة والسلام أنا من الله والمؤمنون منى وكما قال الله تعالى خلقت محمداً من نور وجهى والمراد من الوجه الذات المقدسة المتجلية فى صفة الأرحمية كما قال الله تعالى إن رحمتى سبقت على غضبى وقال تعالى لنوره عليه الصلاة والسلام وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وكما قال الله تعالى لَقَدْ جَاءَكُمْ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ وقال الله تبارك وتعالى فى الحديث القدسى لولاك لما خلقت الأفلاك.

«الفصل العاشر فى بيان حجب الظلمانية والنورانية»

وهو كما قال الله تعالى وَمَنْ كَانَ فِى هٰذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِى الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً والمراد من العمى عمى القلب لأن الله تعالى قال فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ وسبب عمى القلب حجاب الغفلة والنسيان بعد العهد من ربه وسبب الغفلة الجهل من حقيقة الأمر الالهى وسبب الجهل استيلاء صفات الظلمانية عليه كالكبر

والحقدوالحسدوالبخل والعجب والغيبة والنميمةوالكذب ونحو ذلك من الذمائم وسبب تنزله إلى أسفل السافلين لهذه الصفات وإزالة هذه الصفات الذمائم بتصقيل مرآة القلب بمصقل التوحيد وبالعلم والعمل والمجاهدة القوية ظاهراً وباطناً حتى يحصل حياة القلب بنور التوحيد والصفات فيذكر وطنه الأصلي ويرجع ويشتاق إلى وطنه الحقيقي فيصل بعناية الرحمن جل جلاله وبعد ارتفاع هذه الحجب الظلمانية فتبقى النورانية ويصير بصيراً ببصر الروح ومتنوراً بنور أسماء الصفات حتى ترفع حجب النورانية تدريجاً فيتنور بنور الذات واعلم أن للقلب عينين عين صغرى وعين كبرى فالصغرى تشاهد تجليات الصفات بنور أسماء الصفات إلى انتهاء عالم الدرجات والكبرى تشاهد أنوار تجليات الذات بنور التوحيد الأحدية فى عالم اللاهوت وعالم القربة وحصول هذه المراتب للانسان قبل الموت والفناء من البشرية النفسانية ووصول العبد إلى ذلك العالم بقدر انقطاع النفسانية وليس الوصول إلى الله تعالى كوصول الجسم إلى الجسم ولا العلم بالمعلوم ولا العقل بالمعقول ولا

الوهم بالموهوم بل معناه يصل بقدر الانقطاع من غيره بلا قرب ولا بعد ولا جهة ولا مقابلة ولا اتصال ولا انفصال نسبحانه من إله فى خفائه ظهوره وفى تجليه استتاره وفى معرفته نكرته فمن حصل ذلك المعنى فى الدنيا وحاسب نفسه قبل أن يحاسب فهو من المفلحين وإلا فمستقبله عقبات كأدة أى صعبة كعذاب القبر والحساب فى المحشر والميزان والصراط وغير ذلك من أهوال الآخرة .

« الفصل الحادى عشر فى بيان السعادة والشقاوة »

اعلم أن الناس لايخلون من هذين القسمين وكذاهمايعنى القسمين يوجد أن فى انسان واحد فاذا غلبت حسناته وإخلاصه أى أن تبدل النفسانية إلى الروحانية تبدلت جهة شقاوته إلى السعادة فاذا اتبع هواه انعكس الأمر وإذا استوى الجهتان فالرجاء إلى الخير كما قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وزيادة منه ووضع الميزان لأجله لأن من تبدل نفسانيته إلى روحانيته بالكلية فلا حاجة له إلى الميزان لأنه يجيء بغير حساب ويدخل الجنة بغير حساب وكذا عكسه ويدخل النار بغير حساب وأما من ترجح حسناته

فانه يدخل الجنة بغير حساب كما قال الله تعالى فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ومن ترجح سيئاته يعذب بقدر جنايته ثم يخرج من النار إن كان له إيمان ويدخل الجنة ومرادنا من السعادة والشقاوة معنى الحسنات والسيئات يبدل إحداها على الاخرى كما قال عليه الصلاة والسلام الشقى قد يسعد والسعيد قد يشقى فاذا غلبت الحسنات يكون سعيداً وإذا غلبت السيئات يكون شقياً فمن تاب وآمن وعمل صالحا يبدل شقاوته إلى السعادة وأما المقدس فى الأزل من السعادة والشقاوة لكل أحد جامع كما قال عليه أفضل الصلوة والسلام السعيد سعيد فى بطن أمه والشقى شقى فى بطن أمه فليس لاحد أن يبحث فى هذا المبحث لان البحث فى سر القدر يورث الزندقة ولا يجوز لاحد ان يحتج بشىء من سر القدر بأن يترك الاعمال الصالحة ويقول إن كان أنا مكتوب فى الازل شقياً فلا ينفعنى العمل الصالح وإن كنت سعيداً فما يضرنى العمل الفاسد وقد ضرب الشيخ قدس الله سره ونور ضريحه مثلا وهو أن إبليس لما أحال أمره إلى سر

القــدر كفر وطرد وآدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأكمل السلام لما أضاف عصيانه إلى نفسه أفلح ورحم فالواجب على كل مسلم أن لا يتفكر فى سر القدر لئلا يتشوش عليه الامر ويخاف عليه أن يقع فى الزندقة ولكن يجب على المسلم المؤمن أن يعتقد أن البارىء عز اسمه حكيم وجميع هذه الاحوال التى يراها الانسان فى دار الدنيا كالكفر والنفاق والفسق وما أشبه ذلك حكم يريد البارىء جل جلاله إظهار قدرته وحكمته بها ولها سر عظيم لم يطلع عليه أحد من البشر سوى (المصطفى) صلى الله عليه وسلم (وقد حكى) أن بعض العارفين ناجى ربه وقال إلهى أنت قدرت وأنت أردت وأنت خلقت المعصية فى نفسى، فهتف هاتف ياعبدى هذا شرط التوحيد فما شرط العبودية فعاد العارف وقال أنا أخطأت وأنا أذنبت وأنا ظلمت نفسى (فعاد الهاتف) وقال أنا غفرت وأنا عفوت وأنا رحمت. فاللازم على كل مؤمن أن يرى عمل الخير من توفيق البارىء عز وجل وعمل الشر من نفسه حتى يكون من عباد الله الذين ذكرهم الله تعالى بقوله وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا

أَنفسهم ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهَ فاذا أضاف العبد خلق المعصية إلى نفسه أرجح وأنجح له من أن يضيفها إلى البارئ عز اسمه ولو أنه هو الخالق الحقيق وأما قوله عليه الصلاة والسلام الشقى والسعيد فى بطن أمه فالمراد من الام مجمع العناصر الاربعة التى يتولد منها القوى البشرية فالتراب والماء مظهر السعادة لانهما محييان ومنبتان الايمان والعلم والتواضع فى القلب وأما جزء النار والريح فبالعكس لانهما محرقان ومميتان فسبحان من جمع بين هذه الاضداد فى جسم واحد كما يجمع بين الماء والنار وكما يجمع بين النور والظلمة فى السحاب كما قال الله تعالى هو الذى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ وسئل يحي بن معاذ الرازى بم عرفت الله : فقال بجمع الاضداد ولذلك كان الانسان مرآة الحق جل وعلا جمالا وجلالا ومجموعة الكون ويسمى كونا جامعاً وعالماً أكبر لان الله خلقه بيديه أى بصفتى القهر واللطف فانه لابد للمرآة من جهتين يعنى الكثافة واللطافة فيكون مظهر الاسم الجامع

بخلاف سائر الأشياء فانها خلقت بيد واحـــدة إما بصفة اللطف فقط كالملائكة هم مظهر اسم السبوح القدوس فقط وأما صفة القهر كابليس وذريته هم مظهر اسم الجبار ولذلك تجبروا وتكبروا عن السجود لآدم عليه السـلام فلما كان الانسـان جامعاً لخواص جميع الـكائنات علواً وسفلا لم يخل الأنبياء والأولياء من الزلة فان الانبياء معصومون من الـكبائر بعد النبوة والرسالة دون الصغائر والاولياء ليسوا معصومين وقد قيل إن الاولياء محفوظون بعد كمال الولاية من الـكبائر (قال الشيخ شقيق البلخى) رحمة الله عليه علامة السعادة خمسة لين القلب وكثرة البكاء والزهد فى الدنيا وقصر الامل وكثرة الحياء وعلامة الشقاوة خمسة قسوة القلب وجمود العين والرغبة فى الدنيـا وطول الامل وقلة الحياء وقال عليه الصلاة والسلام علامة السعيد أربعة إذا ائتمن عدل وإذا عاهد وفى وإذا تكلم صدق وإذا خاصم لم يشتم وعلامة الشقى أربعة إذا ائتمن خان وإذا عاهد أخلف وإذا تـكلم كذب وإذا خاصم شتم ولا يعفو عن زلة إخوانه لأن العفو هو أجل خصال الدين وقد أمر الله تعـالى نبينا محمداً

صلى الله عليه وسلم بالعفو بقوله تعالى خُذ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ وليس الأمر بقوله تعالى خذ العفو للنبي صلى الله عليه وسلم فقط بل إنما هذا الامر عام للأمة المحمدية لأن الامر إذا صدر من السلطان إلى عامل من عماله أن افعل كذا فهذا الامر يختص به من جميع أهل المصر الذين هم تحت يد ذلك العامل ولو كان الخطاب للعامل شرح الفقير خذ العفو والمراد بقوله خذ أى تخلق به دائما فمن تخلق بالعفو عن هفوات الناس فقد تخلق باسم من أسماء البارى عز وجل وهو العفو فانه تبارك وتعالى قال فمن عفى وأصلح فأجره على الله واعلم أن الشقاوة تتبدل بالسعادة والسعادة تتبدل بالشقاوة بالتربية كما قال عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد على الفطرة الاسلام ولكن أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه إلى آخر الحديث والدليل من هذا الحديث أن كل واحد له قابلية السعادة والشقاوة فلا يجوز أن يقال هذا الرجل سعيد محض ولا شقى محض بل يجوز أن يقال هذا سعيد إذا غلبت حسناته على سيئاته

وكذا عكسه ومن قال غير هذا فقد ضل لأنه اعتقد أن الانسان يدخل الجنة بلاعمل وتوبة ويدخل النار بلا معصية فهذا القول خلاف النصوص لأن الله تبارك وتعالى أعد الجنة لأهل الحسنات والايمان وأعد النار لأهل الكفر والشرك والمعاصى كما قال الله تبارك وتعالى مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وقال جل من قائل الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَاظُلْمَ الْيَوْمَ وقال عز شأنه وَأَنْ لَيْسَ لِلْانْسَانِ إِلَّا مَاسَعَى وقال تبارك وتعالى وَمَا تُقَدِّمُوا لِانْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ .

« الفصل الثانى عشر فى الفقراء ولماذا سموا صوفية »

قال بعضهم لأنهم كانوا يلبسون الصوف أو لأنهم صفوا قلوبهم من الكدورات الدنيوية أو لأنهم صفوا قلوبهم عما سوى الله وقال بعضهم لأنهم قائمون يوم القيامة فى الصف الأول فى عالم القربة (لأن العالم أربعة) عالم الملك وعالم الملكوت وعالم الجبروت وعالم اللاهوت وهو عالم الحقيقة (وكذا العلوم أربعة) علم الشريعة وعلم الطريقة وعلم المعرفة والحقيقة (وكذا الارواح أربعة) روح جسمانى وروح نورانى وروح سلطانى وروح قدسى (وكذا التجليات أربعة) تجلى الآثار وتجلى الافعال وتجلى الصفات وتجلى الذات (وكذا العقل أربعة) عقل المعاش وعقل المعاد وعقل الروحانى وعقل الكل وفى مقابلة العالم الاربعة المذكورة والعلوم والارواح والتجليات والعقول فبعض الناس مقيدون بالعلم الاول وبالروح الاول وبالتجلى الاول وبالعقل الاول فى الجنة الاولى وهى جنة المأوى وبعضهم مقيدون فى الثانى وهم فى الجنة الثانية وهى جنة النعيم وبعضهم مقيدون بالثالث وهم فى الجنة الثالثة وهى جنة الفردوس

وقد غفلوا عن حقيقة هؤلاء الاشياء وأهل الحق من الفقراء العارفين فروا من كلها ووصلوا إلى الحقيقة والقربة ولم يتقيدوا بشيء سوى الله تعالى واتبعوا قوله تعالى ففروا إلى الله وكما قال عليه أكمل الصلاة والسلام الدنيا والآخرة حرام على أهل الله والمراد من الحرام ههنا ليس أنهما حرامان قد حرمتا عليهم ولكنهم قد حرموا على أنفسهم أن لا تطلبها ولا تتعلق بمحبتها لأنهم يقولون إننا مخطئون وهما حادثتان فكيف يطلب الحادث حادثا بل الواجب عليه أن يطلب المحدث وقال فى الحديث القدسى محبتى محبة الفقراء وقال عليه الصلاة والسلام الفقر فخرى وأنا أفتخر به وليس المراد بالفقر الفقر المعلوم ولكن المراد بالفقر الافتقار إلى الله عز وجل وترك ماسواه من التنعمات الدنيوية والاخروية والمراد منه الفناء فى الله كما لا يبقى فى نفسه لنفسه شيء ولا يسع فى قلبه سوى الله تبارك وتعالى كما قال الله تعالى لا يسعنى أرضى ولا سمائى بل يسعنى قلب عبدى المؤمن والمراد بالمؤمن الذى صفا قلبه من صفات البشرية وخلا من الاغيار فوسع الحق قلبه بالعكسية (قال أبو يزيد البسطامى رحمه الله تعالى)

لو أن العرش و ما حوله ألقى فى زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به (فمن أحب) هؤلاء المحبين فهو معهم فى الآخرة (وعلامة حبهم) حب صحبتهم و الاشتياق إلى الله تعالى ولقائه كما قال جل جلاله فى الحديث القدسى طال شوق الابرار إلى لقائى وإنى لأشد شوقاً إليهم (وأما لباسهم) فعلى ثلاثة أنواع كما ذكرنا فى الفصل الثالث (وأما أعمالهم) فعمل المبتدىء متلون بالحميدة والذميمة (وعمل المتوسط) متلون بالالوان الحميدة مثل نور الشريعة والطريقة والمعرفة ولباسهم متلون كذلك مثل البياض والزرقة والخضرة (وعمل المنتهى) خال عن الالوان كلها مثل نور الشمس فنورها لا يقبل الالوان فكذا لباسه لا يقبل الالوان مثل السواد لا يقبل الالوان وهو علامة الفناء وهو نقاب نور معرفتهم كما أن الليل نقاب نور الشمس وقد قال الله تعالى وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا فيه إشارة لطيفة لمن له لب العقل والعلم وأيضاً يكون أهل القربة فى الدنيا فى سجن وغربة وغم وغصة ومحنة وشدة وظلمة كما قال عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام الدنيا سجن المؤمن فيليق بالظلمانية وقد صح الحديث

عن النبي صلى الله عليه وسلم البلاء مؤكل بالانبياء والاولياء فالامثل ثم الامثل ولبس السواد وتعمم بعمامة سوداء وهذا اللباس لباس البلاء ولباس المتعزين المصابين لفوت القابلية مثل المكاشفة والمشاهدة والمعاينة وبموت حياة الابدية ومثل الشوق والذوق والعشق والروح القدسى ومرتبة القربة والوصلة وهؤلاء من أعظم المصائب، ولابد من لباس المتعزين فى مدة عمره لانه فاتته المنفعة الاخروية وهى كالمرأة التى إذا مات زوجها أمرها الله تعالى بلباس العزاء أربعة أشهر وعشرة أيام بفوت المنفعة الدنيوية وأما مدة عزاء الاخروية فهى غير متناهية كما قال عليه السلام المخلصون على خطر عظيم فهذه كلها من صفة الفقر والفناء وفى الخبر الفقر سواد الوجه فى الدارين معناه أنه لا يقبل الالوان غير نور وجه الله تعالى والسواد بمنزلة خال على وجه جميل يزيده جمالا وملاحة وإذا نظر أهل القربة إلى جمال الله تعالى لا يقبل نور أعينهم بعد ذلك غير الله تعالى ولا ينظرون إلى سواه بالمحبة بل يكون محبوبهم ومطلوبهم هو الله تعالى فى الدارين ولا يقصدون غير الله تعالى لان الله تبارك وتعالى خلق

الانسان لمعرفته ووصلته فالواجب على الانسان أن يطلب ما خلق لاجله فى الدارين كيلا يضيع عمره بما لا يعنيه ولا يندم أبداً بعد الموت لتضييع عمره .

« الفصل الثالث عشر فى بيان الطهارة »

وهى على نوعين طهارة الظاهر وهى تحصل بماء الشريعة وطهارة الباطن وهى تحصل أيضاً بالتوبة والتلقين والتصفية وسلوك الطريقة فاذا انتقض وضوء الشريعة بخروج نجس يجب تجديده بالماء كما قال عليه الصلاة والسلام من جدد الوضوء جدد الله إليه إيمانه وكما قال عليه الصلاة والسلام الوضوء على الوضوء نور على نور فاذا انتقض وضوء الباطن فالافعال الذميمة والاخلاق الرديئة كالكبر والعجب والحسد والحقد والغيبة والنميمة والبهتان والكذب وكمثل خيانة العين والاذن واليد والرجل وكما قال عليه الصلاة والسلام العينان تزنيان إلى آخره فتجديده باخلاص التوبة عن هذه المفسدات وتجديد الانابة بالندم والاستغفار والاشتغال بقمعها من الباطل وينبغى للعارف أن يحفظ توبته من هذه الآفات لتكون صلاته تامة كما قال الله تعالى هذا

ماتوعدون لكل أواب حفيظ فوضوء الظاهر مؤقت لكل يوم وليلة ووضوء الباطن مؤبد إلى نهاية العمر والمراد بالعمر عمر الدنيا والآخرة لان عمر الباطن لانهاية له.

« الفصل الرابع عشر فى بيان صلاة الشريعة والطريقة »

فأما صلاة الشريعة فقد علمت بقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى والمراد من صلاة الشريعة أركان الجوارح الظاهرة بالحركات الجسمانية من القيام والقراءة والركوع والسجود والقعود والصوت والألفاظ ولذا جمعها بلفظ الجمع بقوله تعالى حافظوا على الصلوات وأما صلاة الطريقة فهى صلوة القلب مؤبدا فقد علمت بهذه الآية والصلاة الوسطى هى صلاة القلب لان القلب خلق فى وسط الجسد بين اليمين والشمال وبين العليا والسفلى وبين السعادة والشقاوة كما قال عليه الصلاة والسلام إن قلوب بنى آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء والمراد من الاصبعين صفتا القهر واللطف فبهذه الآية والحديث يعلم أن الاصل القلب فاذا غفل عن هذه الصلاة فسدت صلاته وإذا فسدت صلاته فسدت صلاة جوارحه لقوله عليه الصلاة

والسلام لاصلاة إلا بحضور القلب لان المصلى يناجى ربه ومحل المناجاة القلب فاذا غفل القلب بطلت صلاته وصلاة الجوارح لان القلب أصل والباقى تابع له كما قال عليه الصلاة والسلام إن فى جسد ابن آدم لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب فأما صلاة الشريعة فمؤقتة فى كل يوم وليلة خمس مرات والسنة أن يصلى هذه الصلاة فى المسجد بالجماعة متوجهاً إلى الكعبة وتابعا بالامام بلا رياء ولا سمعة وأما صلاة الطريقة فهى مؤبدة فى مدة عمره ومسجدها القلب وجماعتها اجتماع قوى الباطن بالاشتغال على إسماع التوحيد بلسان الباطن وأمامها الشوق فى الفؤاد وقبلتها الحضرة الاحدية جل جلاله وجمال الصمدية وهى القبلة الحقيقية والقلب والروح مشغولان بهذه الصلاة على الدوام فالقلب لاينام ولايموت بل مشغول فى النوم واليقظة وصلاة القلب بحياة القلب بلا صوت ولا قيام ولا قعود فهو يخاطب الله تعالى بقوله إياك نعبد وإياك نستعين متابعاً للنبى صلى الله عليه وسلم قال القاضى فى تفسير هذه الآية فيها إشارة إلى حال العارف وانتقاله من

حالة الغيبة إلى الحضرة الاحدية سبحانه وتعالى فاستحق بمثل هذا الخطاب ماقاله عليه أفضل الصلاة والسلام الانبياء والاولياء يصلون فى قبورهم كما يصلون فى بيوتهم أى مشغولون بالله تعالى ومناجاته بحياة قلوبهم فاذا اجتمع الصلاتان ظاهراً وباطناً فقد تمت الصلاة وأجرها عظيم فى القربة بروحانيته والدرجة بجسمانيته فيكون هذا المصلى عابداً فى الظاهر وعارفا فى الباطن وإذا لم يجتمع صلاة الطريقة مع صلاة الشريعة بحياة القلب فهو ناقص وأجره يكون من الدرجات لامن القربات .

«الفصل الخامس عشر فى بيان طهارة المعرفة فى عالم التجريد»

وهى على نوعين طهارة لمعرفة الصفات وطهارة لمعرفة الذات (فطهارة معرفة الصفات) لاتحصل إلا بالتلقين وتصفية مرآة القلب بالاسماء من النقوش البشرية والحيوانية ثم يحصل النظر لعين القلب من نور صفات الله تعالى ينظر به إلى عكس جمال الله تعالى فى مرآة القلب كماقال عليه أفضل الصلوة والسلام المؤمن ينظر بنور الله تعالى وقال عليه السلام القلب مرآة المؤمن وقال عليه السلام العالم ينقش

والعارف يصقل فاذا تمت التصفية بملازمة الأسماء حصل معرفة الصفات بمشاهدة فى مرآة القلب وأما طهارة معرفة الذات فلا تحصل إلا بملازمة أسماء التوحيد الثلاثة الاخيرة من الأسماء الاثنى عشر فى عين السر ثم يحصل النظر بعين السر من نور التوحيد فاذا تجلى أنوار الذات ذابت البشرية وفنيت بالكلية فهذا مقام الاستهلاك وفناء الفناء وهذا التجلى يمحو جميع الأنوار كما قال الله تعالى كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ وقال تعالى يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكتاب فيبقى الروح القدسى بنور الله ناظراً إليه منه معه فيه له بلا كيفية ولا تشبيه كما قال الله تعالى ليس كمثله شىء فبقى النور المطلق محضاً ولا يمكن الاخبار عما وراء ذلك لأنه عالم المحو فلا يبقى ثمة عقل يخبر عنه ولا موجود ثمة غير الله تعالى كما قال عليه السلام لى مع الله وقت لا يسع فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل فهذا عالم التجريد من غير الله تعالى كما قال تعالى تجرد تصل إلى والمراد من التجرد فناء الكل من صفات البشرية فيبقى فى عالمه متصفاً بصفة الله تعالى كما قال عليه السلام تخلقوا بأخلاق الله تعالى أى اتصفوا بصفته.

« الفصل السادس عشر فى بيان زكاة الشريعة والطريقة »

فأما زكاة الشريعة أن يعطى من كسب الدنيا إلى مصرفة مؤقتة معينة فى كل سنة من نصاب معين وأما زكاة الطريقة فهى أن يعطى من كسب الأخروية إلى فقراء الدين والمساكين الأخروية وإنما سميت الزكاة صدقة فى القرآن كما قال الله إنما الصدقات للفقراء لأنها تصل فى يد الله تعالى قبل ان تصل بيد الفقير والمراد منه قبول الله تعالى وهى مؤبدة وهى ان يعطى الثواب فاذا اعطى كسب الاخروية للعاصين لرضاء الله تعالى فيغفر الله لهم مثل ذنوب الصدقة والصلاة والصوم والحج والتسبيح والتهليل وتلاوة القرآن والسخاء وغير ذلك من الحسنات فلا يبقى لنفسه شيء من ثواب حسناته فيبقى مفلسا فالله تعالى يحب السخاوة والافلاس كما قال عليه السلام المفلس فى امان الله تعالى فى الدارين وقالت رابعة العدوية رضى الله عنها إلهى ما كان نصيبى من الدنيا فاعطه للكافرين وما كان نصيبى من العقبى فاعطه للمؤمنين فلا اريد من الدنيا إلا ذكرك ولا من العقبى إلا

رؤيتك فالعبد وما فى يده لمولاه فاذا كان يوم القيامة اعطاه الله تعالى لكل حسنة عشر امثالها كما قال الله تعالى مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ومعنى الزكاة ايضا تزكية القلب من صفات النفسانية كما قال الله تعالى مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَة وكما قال الله تعالى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا والمراد من القرض فى هذه الدائرة ان يعطى مالا من الحسنات فى سبيل الله تعالى إحسانا إلى خلقه لوجهه الكريم وشفقة بلا منة كما قال الله تعالى لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى لا طالباً عوض الدنيا فهذا قسم الانفاق فى سبيل الله كما قال جل وعلا لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ .

« الفصل السابع عشر فى بيان صوم الشريعة والطريقة »

فأما صوم الشريعة ان يمسك عن المأكولات والمشروبات وعن الوقاع فى النهار واما صوم الطريقة فهو ان يمسك جميع أعضائه عن المحرمات والمناهى والذمائم مثل العجب وغيره ظاهرا وباطنا ليلا ونهارا فاذا فعل شيئا من هذه الفعال التى ذكرناها بطل صوم الطريقة فصوم الشريعة مؤقت وصوم الطريقة مؤبد فى جميع عمره قال عليه السلام رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش فلذلك قيل كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم اى يمسك اعضاءه عن المناهى وإيذاء الناس بالجوارح كما قال الله تعالى الصوم لى وأنا أجزى به وقال عليه السلام للصائم فرحتان فرحة عند الافطار وفرحة عند رؤيته رزقنا الله تعالى بفضله وكرمه (وقال) أهل الشريعة المراد من الافطار الاكل عند غروب الشمس ومن الرؤية رؤية الهلال ليلة العيد (وقال) أهل الطريقة الافطار عند دخول الجنة بالاكل بما فيها من النعيم رزقنا الله وإياكم من تلك النعم. والمراد بالرؤية وهى رؤية الله تعالى يوم القيامة بنظر السر معاينة

رزقنا الله وإياكم رؤيته بفضله وكرمه وأما صوم الحقيقة فهو إمساك الفؤاد مما سوى الله تعالى وإمساك السر عن محبة مشاهدة غير الله تعالى. كما قال الله تعالى (الانسان سرى وأنا سره) فالسر من نور الله تعالى فلا يميل إلى غير الله تعالى وليس له سوى الله تعالى محبوب ولا مرغوب ولا مطلوب فى الدنيا ولا فى الاخرة فاذا وقع فى محبة غير الله تعالى فسد صوم الحقيقة فله قضاء صومه وهو أن يرجع إلى محبته ولقائه سبحانه وتعالى فى الدنيا والاخرة. كما قال الله تعالى (الصوم لى وأنا أجزى به).

«الفصل الثامن عشر فى بيان حج الشريعة والطريقة»

فحج الشريعة ان يحج بيت الله تعالى بشرائطه واركانه حتى يحصل ثواب الحج فاذا نقص شيء من شرائطه ينقص ثواب الحج ويبطله لأن الله تعالى امرنا بتمامه بقوله عز وجل (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) فمن شرائطه الاحرام اولا ثم دخول مكة ثم طواف القدوم ثم الوقوف بعرفة ثم المبيت بمزدلفة ثم ذبح الاضحية بمنى ثم دخول الحرم ثم

طواف الكعبة سبعة أشواط ثم شرب ماء زمزم ثم ركعتين للطواف فى مقام إبراهيم الخليل ثم يحل ما حرم الله تعالى عليه من الاحرام وغيره فجزاء هذا الحج العتق من الجحيم والامن من قهر الله تعالى كما قال الله تعالى وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ثم طواف الصدور ثم الرجوع إلى وطنه رزقنا الله تعالى وإياكم وأما بيان حج الطريقة فزاده وراحلته أولا الميل إلى صاحب التلقين وأخذه منه ثم ملازمة الذكر باللسان مع ملاحظة معناه والمراد بالذكر وهو لا إله إلا الله باللسان ثم يحصل حياة القلب له ثم يشتغل بذكر الله تعالى فى الباطن حتى يصفيه أولا بالتزام أسماء الصفات ليطهر كعبة السر بأنوار صفات الجمال كما أمر الله تعالى إبراهيم وإسماعيل بقوله تعالى أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ إلى آخر الآية فكعبة الظاهر تطهيرها للطائفين من المخلوقات وكعبة الباطن تطهيرها لنظر الخالق فما أليق وأجدر هذا التطهير مما سواه ثم الاحرام بنور الروح القدسى ثم دخول كعبة القلب ثم طواف القدوم بملازمة الاسم الثانى وهو الله ثم الذهاب إلى عرفات القلب

وهو موضع المناجاة فوقف فيها بملازمة الثالث وهو (هو) والرابع وهو حق ثم يذهب إلى مزدلفة الفؤاد ويجمع بين الخامس وهو حى وبين السادس وهو قيوم ثم يذهب إلى منى السر وهو ما بين الحرمين والوقوف بينهما ثم يذبح النفس المطمئنة بملازمة اسم السابع وهو قهار لأنه اسم الفناء ورافع لحجاب الكفر كما قال عليه السلام الكفر والايمان مقامان من وراء العرش وهما حجابان بين العبد وربه عز شأنه احدهما أسود والآخر أبيض ثم حلق رأس الروح القدسى من صفات البشرية بملازمة الاسم الثامن ثم دخول حرم السر بملازمة الاسم التاسع ثم الوصول إلى رؤية العاكفين فيعتكف فى بساط القربة والانس بملازمة الاسم العاشر ثم يرى جمال الصمدية سبحانه ما أعظم شأنه بلا كيف ولا تشبيه ثم طواف سبعة أشواط بملازمة الاسم الحادى عشر ومعه ستة أسماء من الفروعات ثم الشرب من يدى القربة شربا كما قال الله تعالى وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا من قدح اسم الثانى عشر ثم البرقع من وجه الباقى المقدس من التشبيه فينظر بنوره إليه وهذا معنى قوله تعالى مالاعين رأت

ولاأذن سمعت ولا خطر على قلب بشر يعنى كلام الله تعالى
بلا واسطة الحرف والصوت والمراد بقوله ولا خطر على
قلب بشر يعنى ذوق الرؤية والخطاب ثم يحل ما حرم الله
تعالى بتبديل السيئات من الحسنات بتكرار أسماء التوحيد
كما قال الله تعالى وَمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ
يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ثم العتق من التصريفات النفسانية
ثم الامن من الخوف والحزن كما قال الله تعالى أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ
اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ رزقنا الله وإياكم بفضله
وجوده وكرمه ثم طواف الصدر بتكرار الأسماء كلها ثم
الرجوع إلى وطنه الأصلى الذى فى عالم القدس وعالم أحسن
التقديم بملازمة اسم الثانى عشر وهو متعلق بعالم اليقين وهذه
التأويلات فى دائرة اللسان أو العقل وأما ما وراء ذلك فلا
يمكن الاخبار عنها لأنها لاتدركها الافهام والأذهان ولايسع
الحواصل لذلك كما قال عليه السلام إن من العلوم كهيئة
المكنون لايعلمها إلا العلماء بالله فاذا نطقوا بها أنكره أهل

*

العزة فالعارف يقول مادونه والعالم يقول ما فوقه فان علم العارف سر الله تعالى ولا يعلمه غيره كما قال الله تعالى وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ الآية أى الانبياء والأولياء فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى والله أعلم.

«الفصل التاسع عشر فى بيان الوجد والصفاء»

قال الله تعالى تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وقال تعالى أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وقال عليه السلام جذبة من جذبات الحق توازن عمل الثقلين وقال أيضاً عليه السلام من لا وجد له لا حياة له قال الجنيد رحمه الله تعالى الوجد إذا صادف فى الباطن من الله تعالى يورث سروراً أو حزنا فالوجد على نوعين جسمانى وروحانى فالجسمانى وهو وجد النفسانية ووجده بقوة

الجسم بغير قوة الجذبة الغالبة الروحانية مثل الرياء والسمعة والشهرة فهذا النوع كله باطل لأن اختياره غير مغلوب ولا مسلوب ولا يجوز الموافقة لغير هـــذا الوجد وأما الروحانية فهو أن يتقوى الروحانية بقوة الجذبة بمثل قراءة القرآن بصوت حسن أو شعر موزون أو ذكر مؤثر فلا يبقى للجسم قوة واختيار وهذا رحمــانى مستحب موافقته وإليه أشار بقوله تعالى فَبَشِّرْ عِبَادِ . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ وكذا أصوات العشاق والطيور والألحان والمعانى فكل ذلك قوة الروح ولا مدخل للنفس والشيطان فى هذا الوقت لأن الشيطان يتصرف فى ظلمانية النفسانية لا فى نورانية الرحمانية فانه يذوب فيها كما يذوب من كلمة الحوقلة وهى لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم كالملح فى المــاء كذا ورد فى الحديث ففى قراءة الآيات والأشعــار والحـكمة والمحبة والعشق والاصوات الحزينة قوة نورانية للروح فالواجب أن يصل النور إلى النور وهو الروح كما قال الله تعالى والطَّيِّبَاتُ للطَّيِّبِينَ وأما إذا كان الوجد شيطانيا

ونفسانيا فلا يكون فيه نور بل ظلمة وكفر وضلال فالظلمة تصل إلى الظلمانية وهي النفس فيقوى بحسنه كما قال الله تعالى الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ فليس للروح فيها قوة ثم حركات الوجد ففي وجد الروحانية نوعين نوع اختيارى ونوع اضطرارى فالاختيارى كحركة الانسان ليس فى جسده ألم ولا مرض ولا سقم فهذه الحركات كلها غير مشروعة وأما الاضطرارى وهو الذى يحصل بسبب آخر بمثل قوة الروح فلا تقدر النفس على صنعه لأن هذه الحركات غالبة على حركات الجسمانية مثل حركات الحمى إذا غلبت عجز الانسان عن تحملها فلا اختيار لها حينئذ فالوجد إذا غلب الحركات الروحانية يكون حقيقيا وروحانيا والوجد والسماع اللذان محركان كما فى قلوب العشاق والعارفين وهما طعام المحبين ومقوى الطالبين وعن النبى صلى الله عليه وسلم: (إن السماع لقوم فرض ولقوم سنة ولقوم بدعة فالفرض للخواص والسنة للمحبين والبدعة للغافلين) وقال عليه السلام: (من لم يتحرك بالسماع وأشعاره والربيع وأزهاره والعود وأوتاره

فهذا فاسد المزاج ليس له علاج) فهو ناقص عن الحمار والطيور بل عن كل البهائم فان جميع ذلك يتأثر بالنغمات الموزونة ولذلك كانت الطيور تصطف على رأس داود لاستماع صوته عليه السلام كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لاوجد له لادين له) والوجد على عشرة أوجه بعضها جلي ويظهر أثره فى الحركات وبعضها خفي لا يظهر أثرها من الجسد كميل القلب إلى ذكر الله تعالى وقراءة القرآن ومنها البكاء والتألم ومنها الخوف والحزن ومنها التأسف والحيرة عند ذكر الله تعالى ومنها التحسر والندامة ومنها التغير فى الظاهر والباطن ومنها الطلب لرضاء الله تعالى والشوق ومنها الحرارة والمرض والعرق .

« الفصل العشرون فى بيان الخلوة والعزلة »

وهى على وجهين ظاهر وباطن : فالخلوة الظاهرية أن يعزل نفسه ويحبس بدنه عن الناس لئلا يؤذيهم بأخلاقه الذميمة لترك النفس مألوفاتها ويحبس حواسها الظاهرية ليفتح الحواس الباطنية بنية الاخلاص والموت بالارادة ودخول القبر ويكون نيته فى ذلك رضاء الله تعالى ودفع شر نفسه عن المؤمنين والمسلمين كما قال عليه السلام : (المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه وكف لسانه عما لا يعنيه) وكما قال عليه السلام : (سلامة الانسان من قبل اللسان وملامة الانسان من قبل اللسان وكف عينيه عن الخيانة والنظر إلى الحرام وكذا كف رجليه وأذنيه) فقد قال عليه السلام : (العينان تزنيان إلى آخر الحديث) ويحصل من زنا هذه الاعضاء شخص قبيح بصورة الحبشى ويقوم معه يوم القيامة ويشهد عند الله تعالى عليه ويأخذ صاحبه ويعذبه فى النار فاذا تاب منه وحبس نفسه . كما قال الله تعالى :
(وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)

تبدل صورته إلى صورة أمرد مليح من غلمان الجنة وينجو من شره وكان الخلوة حصنه من المعاصى فيبقى عمله صالحاً ويكون محسناً كما قال الله تعالى : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) وأما خلوة الباطن. فهى أن لا يدخل فى قلبه من تفكرات النفسانية والشيطانية مثل محبة المأكولات والمشروبات والملبوسات ومحبة الاهل والعيال والحيوانات كالفرس ونحوه ومثل الرياء والسمعة والشهرة . كما قال عليه السلام : (الشهرة آفة وكل يتمناها . والخمول راحة وكل يتوقاها) ولا يدخل فى قلبه باختياره الكبر والعجب والبخل والحسد والغيبة والنميمة والحقد والقهر والغضب وغير ذلك من الذمائم فاذا دخل فى قلب الخلوتى من هذه الذمائم فسدت خلوته وقلبه ومافى قلبه من الأعمال الصالحات والاحسان فيبقى القلب بلا منفعة . كما قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ المفسدين) وكل من فى قلبه من هذه المفسدات فهو من المفسدين وإن كان فى الظاهر فى صورة المصلحين : كما قال عليه

السلام : (الكبر والعجب يفسدان الايمان) وكما قال عليه السلام : (الغيبة أشد من الزنا) وكما قال عليه السلام: (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) وكما قال عليه السلام: (الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها) وقال أيضاً عليه السلام : (البخيل لايدخل الجنة ولو كان عابدا) وقال أيضاً عليه السلام : (الرياء شرك خفي وشركه كفر) وقال أيضاً عليه السلام : (لايدخل الجنة نمام) وغير ذلك من الأحاديث الواردة فى ذم الأخلاق الذميمة فهذا محل الاحتياط فالمقصود أولا من التصوف تصفية القلب منها وقمع النفس والهوى عنه فمن أصلحها بالخلوة والرياضة والصمت وملازمة دوام الذكر بالارادة والمحبة والتوبة والاخلاص والاعتقاد الصحيح السنى متبعا على آثار السلف الصالحين من الصحابة والتابعين من المشايخ والعلماء العاملين بعلمهم فاذا جلس المؤمن فى الخلوة بالتوبة والتلقين ومعه هذه الشروط المذكورة خلص لله تعالى علمه وعمله ونور قلبه ولين جلده وطهر لسانه وجميع حواسه من الظاهر والباطن ورفع عمله إلى حضرته وقبله وسمع دعاءه كما يقال : (سمع الله لمن حمده)

أى قبــل الله دعوته وثناءه وتضرعه وأنال عوضه إلى عبده من القربة والدرجات . كما قال الله تعالى : (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) والمراد من الكلم الطيب أن يحفظ لسانه من اللغويات بعد كونه آلة لذكر الله تعالى وتوحيده . وكما قال الله تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ الآية) فيرفع الله العلم والعمل والعامل إلى رحمته وقربه ودرجاته بالمغفرة والرضوان فاذا حصل هذه المراتب للخلوتى كان قلبه كالبحر لا يتغير بايذاء الناس . كما قال عليه السلام : (كن بحراً لا تتغير) فيموت برياسات النفسانية فيه كما غرق فرعون وآله فى البحر ثم يكون سفينة الشريعة سليمة جارية عليه ويكون روحه القدسى غواصا إلى قعره فيصل إلى درة الحقيقة ويخرج من لؤلؤ المعرفة ومرجان اللطائف كما قال الله تعالى : (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) لأن هذا البحر حصل لمن جمع بحر الظاهر والباطن فلا يمكث بعده

الفساد فى بحر القلب وكان توبته ناصحاً وعلمه نافعاً وعمله صالحا ولا يميل إلى المناهى قصدا ويكون السهو والنسيان معفواً عنه بالاستغفار والندم واليقين .

« الفصل الحادى والعشرون فى بيان آوراد الخلوتى »

فينبغى أن يجلس فيها بالصوم إذا استطاع ويصلى الصلوات الخمس بالجماعة فى المجلس بأوقاتها مع سننها وشرائطها وأركانها على التعديل ويصلى إثنتى عشرة ركعة بعد نصف الليل (وهى صلاة التهجد) كل ركعتين يسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (صلاة الليل مثنى مثنى) وبعدها يصلى ثلاث ركعات صلاة الوتر: قال الله تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ) وقوله تعالى: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) ويصلى ركعتين بعد طلوع الشمس وهى صلاة الاشراق ويصلى بعدها ركعتين بنية الاستعاذة يقرأ فى أول ركعة قل أعوذ برب الفلق وفى الركعة الثانية قل أعوذ برب الناس ويصلى بعدها ركعتين بنية الاستخارة يقرأ فى كل ركعة الفاتحة مرة وآية الكرسى مرة وقل هو الله أحد سبع

مرات ويصلي ست ركعات صلاة الضحى يقرأ فيها من الآيات والسور ماشاء ويصلي بعدها ركعتين بنية كفارة البول يقرأ فى كل ركعة الفاتحة مرة وإنا أعطيناك الكوثر سبع مرات فهذه تكون كفارة للبول وللنجاة من عذاب القبر فقد قال نبينا عليه أفضل الصلوات وأكمل التسليمات:(استنزهوا من البول فان علامة عذاب القبر منه) ويصلي أربع ركعات إن كان حنفياً يصلي الأربع جميعا وإن كان شافعياً يصلي كل ركعتين وحدهما هذا إذا كان نهارا وأما إذا كان ليلا فالحنفي والشافعي سواء يصلونها ركعتين ركعتين وهي صلاة التسابيح وصفتها على مذهب الحنفي إن كان فى النهار يقول نويت أن أصلي لله تعالى أربع ركعات صلاة التسابيح ثم يكبر تكبيرة الاحرام ثم يقرأ التوجه ثم يسبح بعد التوجه خمس عشرة مرة يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ثم يقرأ الفاتحة والسورة أو من الآيات كآخر البقرة أو غيرها ثم يسبح عشر مرات ثم يركع ويقول: سبحان ربي العظيم ثلاث

مرات ويسبح بعدها عشر مرات وهو فى الركوع ثم يعتدل ويسبح عشر مرات ثم يقعد القعدة الأولى ويسبح عشر مرات ثم يسجد السجدة الثانية ويقول : سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات ثم يسبح عشر مرات ثم يقوم ويسبح كترتيب الركعة الأولى ويقرأ التحيات إلى التشهد ويقوم إلى الثالثة والرابعة فتكون التسبيحات التى تكون فى كل ركعة خمسا وتسعين تسبيحة وفى الركعتين مائة وخمسين تسبيحة وفى الأربع ركعات ثلاثمائة تسبيحة . وأما صفتها على مذهب الشافعى فهو أن ينوى إن كان ليلا أو نهاراً يقول نويت أن أصلى لله تعالى ركعتين سنة التسبيح ثم يكبر تكبيرة الاحرام ثم يقرأ التوجه والفاتحة والسورة ثم يسبح خمس عشر مرة ثم يركع ويسبح عشر مرات ثم يعتدل ويسبح عشر مرات ثم يسجد ويسبح عشر مرات ثم يجلس الجلسة الاولى ويسبح عشر مرات ثم يسجد ويسبح عشر مرات ثم يجلس ويسبح عشر مرات ثم يقرأ التحيات إلى آخره ويسلم وكذلك فى الركعة الآخرة كذلك . فهذه الصلاة يجب على الخلوتى أن يصليها فى كل يوم وليلة مرة وإن لم يستطع ففى كل

جمعة مرة وإن لم يستطع ففى كل شهر مرة فان لم يستطع ففى كل سنة مرة فان لم يستطع ففى كل عمره مرة فقد قال عليه السلام لعمه العباس رضى الله تعالى عنه وأرضاه: (من صلى هذه الصلاة غفر الله له ذنوبه كلها وإن كانت أكثر من عدد الرمل وعدد النجوم التى فى السماء وعدد كل ما كان على وجه الأرض) وينبغى للسالك أن يقرأ الدعاء السيفى كل يوم مرة أو مرتين ويقرأ من القرآن كل يوم مقدار مائتى آية ثم يذكر الله تعالى كثيراً إما جهراً إن كان من أهلها أو خفية إن كان من أهلها ومقام الخفية بعد حياة القلب ونطقه بلسان السر كما قال الله تبارك وتعالى (وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ) الآية أى إلى مراتب ذكركم ثم فى كل مقام اسم وآداب يعرفه أهله ويقرأ قل هو الله أحد كل يوم مائة مرة ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويقول أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم مما قدمت وما أخرت وما أعلنت وما أسررت وما أسرفت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شىء قدير مائة مرة ثم إن استطاع زاد ما شاء من النوافل والتلاوة.

«الفصل الثانى والعشرون فى بيان الواقعات فى النوم والسنة»

فالواقعات المعتبرة فى النوم والسنة حق مفيد كما قال الله تبارك وتعالى (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ) الآية وكما قال الله تبارك وتعالى على لسان يوسف عليه السلام (إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) الآية وكما قال عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام (لم يبق من بعدى نبوة إلا المبشرات يراها المؤمن أو ترى له) والدليل قوله تعالى (لَهُمُ الْبُشْرَى فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ الآية) وقال عليه الصلاة والسلام (من رآنى فقد رآنى حقاً فان الشيطان لا يتمثل بى) وبمن اتبعنى بنور الشريعة والطريقة والمعرفة بنور الحقيقة والبصيرة. كما قال تبارك وتعالى (أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِى) الآية فلا يتمثل الشيطان بمثل هذه الأنوار اللطيفة كلها قال صاحب المظهر هذا لا يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم بل لا يتمثل بكل ماهو مظهر الرحمة والشفقة واللطف والهداية كجميع الأنبياء

والأولياء والملائكة والكعبة والشمس والقمر والسحاب الأبيض والمصحف وأمثال ذلك لأن الشيطان مظهر القهر فلا يظهر إلا فى صورة اسم المضل فمن كان مظهراً للاسم الهادى كيف يظهر باسم المضل فان الضد لا يظهر بصورة الضد كالنار والماء فلا يمكن للنار أن تنقلب ماء ولا يمكن الماء أن ينقلب نارا لما بينهما من التفاوت والتنافر والتباعد وليميز الحق من الباطل كما قال الله تبارك وتعالى (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ) وأما تمثيله بصورة الربوبية ودعوى الربوبية يجىء منه لأن صفة البارى عز اسمه جلال وجمال فأما الشيطان فانه يتمثل بصفة الجلال لأنه مظهر القهر وظهور تمثل الربوبية ودعواه من اسم المضل فقط كما مر وإنما تمثله بصورة الربوبية منها فانما هى من اسم المضل فقط كما مر آنفا فلا يظهر فى صورة اسم الجامع لما فيه من الهداية وفيه كلام كثير يطول شرحه وقال عليه السلام على بصيرة أنا ومن اتبعنى هو إشارة إلى الوارث الكامل المرشد أى الارشاد ومن بعدى لمن له بصيرة باطنة مثل بصيرتى من وجه والمراد منه الولاية الكاملة كما أشار إليه بقوله عز وجل (وليا مرشدا)

ثم اعلم أن الرؤيا على نوعين آفاقى أو أنفسى وكل واحد منهما على نوعين (فالانفسى) إما من الاخلاق الحميدة أو الذميمة فالحميدة مثل رؤية الجنان ونعيمها ومثل الحور والقصور والنجوم وما أشبه ذلك وكل ذلك يتعلق بصفة القلب وأما ما يتعلق بالنفس المطمئنة منها فنحو مأكول اللحم من الحيوانات والطيور لأن معيشة المطمئنة منها فى الجنة تكون من هذه الأنواع كمشوى الغنم والطيور وأما البقر فهو آت من الجنة لآدم عليه الصلاة والسلام لأجل الزراعة فى الدنيا والابل أيضاً من الجنة لأجل سفر الكعبة الظاهر والباطن والخيل لآلات الجهاد الأصغر والأكبر فكل ذلك للآخرة وقد جاء فى الحديث إن الغنم خلق من عسل الجنة والبقر من زعفرانها والابل من نورها والخيل من ريحانها وأما البغل فهو أدنى صفة المطمئنة من رآه فى المنام فتفسيره أن يكون للرائى فى العبادة كعسل وثقلة النفس ولا يكون لكسبه نتيجة إلا بالتوبة ويعمل عملا صالحا فله جزاء الحسنى والحمير من حجارتها خلقت لاجل مصلحة آدم عليه السلام وذريته لكسب الآخرة فى الدنيا وأما ما ينطق منها

بالروح خطاب الامرد يتجلى عليه الانوار الالهية لان أهل الجنـــة كلهم على هذه الصورة كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام (أهل الجنة جرد مرد مكحولون) وقال أيضا عليه أفضل الصلاة والسلام (رأيت ربى على صورة شاب أمرد) قال بعضهم المراد من مثل هذا التجلى وهو أن الحق عز اسمه يتجلى بصفة الربوبية على مرآة الروح وهو الذى يسمونه طفل المعانى لان مرآة المربى الجسد والوسيلة بينه وبين الرب سبحانه وتعـالى قال على كرم الله وجهه لولا تربية المربى لمـا عرفت ربى وهذا المربى الباطن يحصل بسبب تربية المربى الظاهر وهى التلقين كالانبيـــاء والاولياء سراج القوالب والقلوب مايحصل من تربيتهم من لقاء روح آخر كما قال الله تبارك وتعالى (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) وطلب المرشد لازم لأجل هذا الروح الذى به تحيا القلوب ويعرف به ربه فافهم قال الامام الغزالى رضى الله تعالى عنه ليجوز أن يرى الرب تعـالى فى المنـام على صورة جميلة أخروية على هذا التأويل المذكور قال لأن هذا المربى مثال يخلقه الله تبارك وتعالى على قدر استعداد الرائى ومناسبته

وليس حقيقة الذاتية لأن الله تبارك وتعالى منزه عن الصور بذاته وكذا رؤية النبي صلى الله عليه وسلم على هذا المقياس ويجوز أن يرى على صور مختلفة على قدر مناسبة الرأى ولا يرى حقيقة المحمدية إلا الوارث الكامل فى علمه وعمله وحاله وبصيرته وصلاته ظاهراً وباطناً إلا فى حالة كذا قال فى شرح مسلم يجوز رؤية الله تبارك وتعالى فى صورة البشرية والنورانية على التأويل المذكور والقياس فى تجلى كل صفة على هذا النهج كما تجلى لموسى عليه الصلاة والسلام فى صورة النار من شجرة العناب ومن صفة الكلام قال الله تعالى (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى) وكانت تلك النار نورا لكن سميت ناراً على زعم موسى عليه السلام وعلى طلبه لانه طلب النار فى ذلك الحين وليس للانسان أدنى رتبة من الشجرة فلا عجب إذا تجلى بصفة من صفات الله تبارك وتعالى فى حقيقة الانسانية بعد التصفية وهى من الصفات الحيوانية إلى الانسانية كما تجلى على كثير من الأولياء. قال أبو يزيد البسطامى حين التجلى سبحانى ما أعظم شأنى وقال الجنيد رضى الله تعالى عنه ليس فى جبتى سوى الله تبارك وتعالى ونحو

ذلك وفى هذا المقام لطائف عجيبة لاهل التصوف يطول شرحها ثم فى التربية لابد من المناسبة فالمبتدىء فى أول أمره لامناسبة بينه وبين الله تعالى ولا بين نبيه صلى الله عليه وسلم فاحتاج لا محالة إلى تربية الولى أولا لأن بينهما مناسبة من جهة البشرية كما كان النبي صلى الله عليه وسلم حال حياته فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم فى الحياة الدنيا لما احتاج لأحد غيره وبعد الانتقال إلى الآخرة انقطع من صفة التعلق ووصل إلى محض التجرد وكذلك الأولياء إذا تعلقوا إلى الآخرة لايصل أحد منهم إلى الارشاد المقصود فافهم إن كنت من أهل الفهم وإلا فاطلب الفهم بالرياضة النورانية الغالبة على النفسانية الظلمانية لأن الفهم يحصل بالنورانية لا بضدها لان النور إنما يجىء بموضع يكون مزيناً مشرفاً فلم يبق فى المبتدىء مناسبة له وأما الولى الذى كان فى الحياة فله منه مناسبة لأن له جهتين إحداهما تعليقية والثانية تجريدية من جهة الوراثة الكاملة فيتولى الذى يكون فى الحياة إليه مدد الولاية العبودية النبوية من النبي صلى الله عليه وسلم ويتصرف بها فى الخلق فافهم فان وراء ذلك سراً عميقاً يدركه

أهله كما قال الله تبارك وتعالى (فَلِلّهِ العِزّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) وأما تربية الارواح فروح الجسمانية مربية فى الجسم ولروح الروان حرب فى القلب وروح السلطانى حرب فى الفؤاد وروح القدس حرب فى السر وهو الواسطة بينه وبين الحق ومترجم من الحق إلى الخلق لأنه أهل الله ومحرمه وأما الرؤية التى من الأخلاق الذميمة التى هى من صفة الأمارة واللوامة والملهمة فهؤلاء يرى من السباع كالنمر والأسد والذئب والدب والكلب والخنزير وغيرها مثل الأرنب والثعلب والهرة والفهد ومثل الحية والعقرب والزنبور وغير ذلك من المؤذيات فهذه الصفات الذميمة التى يجب الاحتراز عنها وإماطتها عن طريق الروح والنمر فهو من صفة العجب هو الكبر على الله تعالى كما قال الله تبارك وتعالى « وَالّذِينَ كَذّبُوا بآيَاتنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتّحُ لَهُمْ أبوَابُ السّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنّةَ حَتّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمّ الْخِيَاطِ » وكذلك يجزى المجرم

المتكبر على الناس والأسد فهو من صفة الكبر والتعظيم على الخلق والدب فهو من صفة الغضب والغلبة على من فى تحت يده والذئب فهو من صفة أكل الحرام والشبهات من غير تمييز والكلب فهو من صفة حب الدنيا والقهر والغضب لأجلها والخنزير فهو من صفة الحقد والحسد والحرص على الشهوات والارنب فهو من صفة الحيلة والمكر فى المعاملات الدنيوية والثعلب أيضاً كالارنب لكن الغفلة فى الارنب غالبة والفهد فهو من صفة الغيرة الجاهلية وحب الرياسة والعزة والهرة فهو من صفة البخل والنفاق والحية فهو من صفة الايذاء باللسان كالشتم والغيبة والكذب ويرى لذلك السباع المعانى الحقيقية يدركها أهلها بالبصيرة والعقرب فهو من صفة الغمز والهمز والنميمة والزنبور فهو من صفة إيذاء الناس باللسان خفية وقد تدل الحية على العداوة مع الناس فاذا رأى السالك أن يحارب مع هذه المؤذيات ولم يغلب عليها الرؤية فليجتهد بالعبادة والذكر حتى يغلب عليها ويقهرها ويفنيها أو يتبدلها إلى صفة البشرية فان قهرها وقتلها بالكلية

فهو معنى ترك السيئات كما قال الله تبارك وتعالى فى حق بعض التائبين «كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ الآية» وإن رأى أنها تبدلت إلى صورة الانسانية فهو معنى تبدل السيئات بالحسنات كما قال الله تبارك وتعالى فى حق التائبين «وَمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ» فقد خلص من هذه المؤذيات فينبغى أن لا يأمن منها بعد ذلك لأنه إن وجدت النفس قوة من جانب العصيان فقويت وغلبت على المطمئنة ولذلك أمر الله تعالى أن يجتنب العبد المناهى فى جميع الأوقات مادام فى الدنيا وقد يرى ذلك فى النفس الأمارة على صورة الكفار واللوامة على صورة اليهود والملهمة على صورة النصارى وكذا فى صورة المبتدعة .

« الفصل الثالث والعشرون فى بيان أهل التصوف »

وهم اثنا عشر صنفا الصنف الأول السنيون وهم الذين أقوالهم وأفعالهم موافقة للشريعة والطريقة جميعا وهم أهل السنة والجماعة فبعضهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وبعضهم بحساب يسير وعذاب قليل فيخرجون من جهنم ويدخلون الجنة ولا يؤبدون فى النار تأبيد الكافر والمنافق والبواقى بدعيون فمنهم الحلولية والحالية والأوليائية والشمرانية والحبية والحورية والاباحية والمتكاسلة والمتجاهلة والواقفية والالهامية . فأما مذهب الحلولية فانهم يقولون النظر إلى بدن الجميلة والأمرد حلال فيرقصون ويدعون أن التقبيل والمعانقة مباحة وهذا كفر محض وأما الحالية فانهم يقولون الرقص وضرب اليد حلال ويقولون للشيخ حالة لا يعبر عنها الشرع وهذا بدعة ليس فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الأوليائية فانهم يقولون إذا وصل العبد إلى مرتبة الأولياء فتسقط عنه تكاليف الشرع ويقولون الولى أفضل من النبى لأن علم النبى بواسطة جبرائيل وعلم الولى بغير واسطة وهذا التأويل خطأ وهم هلكوا بذلك

الاعتقاد وهذا كفر أيضاً وأما الشمرانية فانهم يقولون الصحبة قديمة وبها يسقط الامر والنهى ويحلون الدف والطنبور وباقى الملاهى ولا حلال بينهم من جهة النساء وهم كفار ودمهم مباح وأما الحبية فانهم يقولون إذا وصل العبد إلى درجة المحبة تسقط عنه تكاليف الشرع ولايستررون عوراتهم وأما الحورية فانهم كالحالية لكن يدعون وطء الحور فى حالاتهم فاذا أفاقوا اغتسلوا فكذبوا بذلك وهلكوا وأما الاباحية فانهم يتركون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويحلون الحرام ويبيحون النساء وأما مذهب المتكاسلة فيتركون الكسب ويسألون من الأبواب ويدعون ترك الدنيا على ظاهرهم ويدعون بوائقهم وهم هلكوا بذلك وأما المتجاهلة فيلبسون لباس الفساق كما قال الله تعالى (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) وقال عليه السلام من تشبه بقوم فهو منهم وأما الواقفية فانهم يقولون لا يعرف الله غير الله قط وهم تركوا طلب المعرفة وهلكوا بذلك الجهل وأما الالهامية فانهم يتركون العلم وينهون عن التدريس

وتابعوا الحكماء ويقولون القرآن حجاب والأشعار قرآن الطريقة واعتقدوا بذلك وتركوا القرآن وتعلموا الاشعار على أولادهم وتركوا الورد وهلكوا به. وقال فى فقه الباطن يقول أهل السنة والجماعة إن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كانوا أهل الجذبة بقوة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ثم انتشرت تلك الجواذب بعد على إلى مشايخ الطريقة ثم تشعبت إلى سلاسل كثيرة حتى ضعفت وانقطعت عن كثير منهم فبقى منهم المرسميون فى صورة الشيخوخة بلا معنى ثم تشعب منهم أهل البدع ثم انتسب بعضهم إلى القلندرية وبعضهم إلى الحيدر وبعضهم إلى الادهم وغير ذلك مما يطول شرحه. وأما أهل الفقه والارشاد فهم فى هذا الزمان أقل من القليل. ويعلم العمل الحق بشاهدين أحدهما ظاهر والثانى باطن فالظاهر الاستحكام على الشريعة أمرا ونهياً كما لايخفى والباطن أن يكون سلوكه على مشاهدة البصيرة فيرى من يقتدي به وهو النبي صلى الله عليه وسلم فيكون واسطة بين الله تعالى وبين نبيه وبينه وهو روحانية النبي صلى الله عليه وسلم ذى الجسمانية فى محله والروحانية فى محله فان الشيطان

لا يتمثل به فيكون منه إشارة إلى ما يريده من السالكين لئلا يكون سلوكهم على العمى وههنا دقائق العلامات فى التميز لايدركها إلا أهلها.

« الفصل الرابع والعشرون فى بيان الخاتمة »

فينبغى للسالك أن يكون فطناً وبصيراً كما قال الشاعر:

إن لله عباداً فطناً طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
جعلوها لجـــة فاتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

ناظراً إلى خواتم الامور ومتفكرا فى أدبارها ولا يغتر بحلاوة ظاهر الاحوال فقد قال أهل التصوف إن السالك إلى الاحوال لا يغفل عن محولها وقد قال الله تعالى وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّٰهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ولذلك قال فى الحديث القدسى يا محمد بشر المذنبين بأنى غفور وأنذر الصديقين بأنى غيور فان كرامات الاولياء حق وأحوالهم حق غير أنها ليست مأمونة من ذلك أبداً وقد قيل خوف سوء الخاتمة سبب النجاة من سوء الخاتمة قال الحسن البصرى إن أولياء الله تعالى ارتفعوا إلى عليين بالخوف فيكون الخوف غالباً على

الرجاء لئلا تخدعه البشرية فيقطع عن سبيله من حيث لا يشعر وقد قال مادام الانسان فى الصحة يريد أن يكون الخوف غالبا على الرجاء وفى المرض يكون الرجاء غالبا على الخوف قال عليه السلام لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه يستويان وأما فى حال النزع فيكون رجاؤه بفضل الله تعالى أغلب كما قال عليه السلام لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى ويتفكر بقوله تعالى وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وبقوله رحمتى سبقت غضبى فانه أرحم الراحمين فالواجب على السالك أن يفر من قهره إلى لطفه ويفر منه إليه متذللا متعرضا متملقا متعذرا معترفا بذنوبه فى بابه فيتوقع فيض فضله وألطافه ورحمته على ذنوبه فانه هو البر الرحيم الجواد الكريم والملك القديم والسلطان العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين آمين .

بيان دائرة النفوس وورداتها وانوارها ولطائفها وحالاتها وعوالمها

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨
عدد المقامات	مقام اول	مقام ثانى	مقام ثالث	مقام رابع	مقام خامس	مقام سادس	مقام سابع	مقام ثامن
« النفوس	نفس	نفس	نفس	نفس	نفس	نفس	نفس	نفس
صفات «	أمارة	لوامة	ملهمة	مطمئنة	راضية	مرضية	صافية	كاملة
سير المقامات	سيره إلى الله	سيره لله	سيره على الله	سيره مع الله	سيره فى الله	سيره عن الله	سيره بالله	فناء فى الله بقاء بالله
عوالم المقامات	عالم ناسوت	عالم ملكوت	عالم جبروت	عالم لاهوت	عالم عماخ	عالم أرواح	عالم استغراق	عالم جذب عقل
مواضع الذكر	محله الصدر	محله العقل	محله القلب	محله الروح	محله السر	محله سر السر	محله الخفاء	محله أخفى
حالات المقامات	حالة الرياضة	حالة تمييز	حالة محبة	حالة عشق	حالة وصلة	حالة غنى	حالة جذب	حالة تصرف
واردات «	وارد الشريعة	وارد الطريقة	وارد تقوى مع المعرفة	وارد حقيقة	وارد تمييز بالجذب	وارد تمكين بالتلوين	وارد وحى	وارد خطاب بالجمع
أنوار المقامات	نوره أزرق	نوره أحمر	نوره أخضر	نوره أبيض	نوره أصفر	نوره أسود	نوره وردى	نوره ليس له نور
أسماء الأصول	لا إله إلا الله	الله	هو	حق	حى	قيوم	قهار	ضرب الاسم
أسماء الفروع	وهاب	فتاح	واحد	أحد	صمد	على	عظيم	الاسم الأعظم

خاتمة الطبع

الحمد لله الذى يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى والصفات العليا والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى خصوصاً حبيبه ونبيه وصفيه ورسوله محمداً ﷺ هو كنز الخفا وداعى الأمة إلى سبل النجا وعلى آله وأصحابه الذين هم كالنجوم بأيهم اقتدى اهتدى . وعلى التابعين وتبع التابعين الذين اتقوا الله غاية التقى وقالوا قولا سديدا .

(أما بعد) فقد حصل الفراغ من طبع هذا الكتاب المستطاب المسمى (بسر الأسرار) لفرد الكونين وغوث الثقلين شيخ المشايخ السيد الشيخ محي الدين أبى محمد عبد القادر الجيلانى الحسنى الحسينى قدس الله سره العزيز ونور ضريحه الشريف على نفقة السيد الممجد عبد الرحمن محمد ملتزم طبع المصحف الشريف بمطبعته البهية المصرية فى جمادى الآخرة سنة ١٣٧٤ هجرية وهو منقول من نسخة خطية قديمة عنى بها سند السلف وسيد الخلف بقية الأصفياء المقربين ونخبة الأولياء الموصلين العارف اللبيب السيد محمد نجيب أبو البركات الجيلانى سلمه الله عن حادثات الدوانى ابن سيدنا ومولانا تاج العارفين سراج السالكين زبدة النقباء نقدة النجباء المرشد الربانى السيد الشريف الشيخ محمد مرتضى الجيلانى الحسنى الحسينى الحموى غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين من كل شيخ وصبى آمين .

فهرست

كتاب سر الأسرار ومظهر الانوار

لسيدى عبد القادر الجيلانى

صفحة موضوعات الكتاب

صفحة — موضوعات الكتاب